أرواح تُسلب

الجزء الأول

حمدي محمد شرف

اسم العمل :- أرواح تُسلب

الكاتب :- حمدي محمد شرف

المراجعة اللغوية :- نورهان صبري

إخراج داخلي :- المشرقة

تصميم الغلاف :- صابرين محمد

رقم الإيداع :- ٢٧١١٨ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي :- ٣ – ٩ – ٨٦٣٨٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة للناشر وأي انتهاك سيعرض صاحبه للمسائلة القانونية

" هذه النسخة مخصصة للقراءة فقط ، ولا يجوز إعادة طبعها أو نسخها أو نشرها إلا بعد الحصول على إذن كتابي من الناشر "

خالد عدلي

00201002688188

Info. mothakf@gmail.com

تم إخراج هذا الكتاب بواسطة دار بوڤار للنشر الألكترونى :

أسرة فريق بوڤار للتصميم

أسرة فريق بوڤار للتنسيق

أسرة بوڤار للتدقيق اللغوي

تحت إشراف مجلس إدارة بوڤار

أ/ أحمد صالح أ/ محمد جاسر

إهداء إلى:

والدتي الغالية، خرجتُ إلى تلك الحياة؛ لأحقق لكِ كل شيء، أنتِ بحرٌ من الحنان أغرق كل يوم بين أمواجه، فقدتِ شبابك؛ لتسقِ بذور شبابي، ملجئي الوحيد بين أحضانك.

.

***

إهداء إلى:

والدي العزيز، تحملت معاناة يا أبي لم يتحملها أحد، تمنيتُ أن أتحمل جزءًا صغيرًا من تلك المعاناة؛ لأخفف جزءًا صغيرًا مما تحملت، لم أركَ سوى رفيقي الوحيد، أتمني لك الحياة دائمًا يا أبي.

إهداء ثانٍ :

إلى حبيبتي (دنيا) التي آمنت بموهبتي، وكانت معي حين بدأتُ هذا العمل.

هل البقاء على قيد الحياة يحتاج إلى كل تلك المعاناة؟

مقدمة:

نعم نحنُ نحلم يوميًا، فنرى عكس أحلامنا يتحقق، فلِما لا نحلمُ بالأسوأ؛ عسى أن يتحقق الحُلم؟

هل فكرتَ يا صديق أن تحلم بما تخشى مواجهته؟

فكِّر معي، اجلس على أقرب مقعد، استرخِ قليلًا، أغمِض عينيك لثوانٍ، تعمق، افتح جميع أبواب عقلك، ابحث سريعًا، لم يتبقَّ الكثير!

الآن افتح عينيك ببطء، وأخبرني ما أسوأ شيء تخشى مواجهته؟

هل تستطيع الإجابة على هذا السؤال، أم سيبقى سرًا بداخلك يا صديقي؟

سأخبركَ شيئًا..

إن كنتَ لا تريد الإجابة، استمتع معي الآن بهذه الرواية، وحين تصل إلى النهاية، أريد منك أن تغلق عينيك؛ فربما تكون قد تذكرت الأسوأ.

***

الفصل الأول

أنا مش مصدقة إني خدت الإجازة دي وأخيرًا يا رامي!

حقيقي كنت محتاجاها جدًا، الشكر للأستاذة سامية إنها أقنعت المدير بالإجازة دي، قد إيه هي إنسانة جميلة بتحب تساعد الكل!

قوللي بقا هنقضي الإجازة دي فين يا رامي؟

رامي : أنا آسف والله يا حبيبتي، مش عارف أقولك إيه، بس مرات خالي اتصلت، وقالتلي إن خالي بيموت، وعايز يشوفني قبل ما يموت، وإن في سر لازم أعرفه، وإلا الدنيا هتتقلب على دماغي، فلازم أسافر سوهاج يا حبيبتي، أنا آسف بجد، مش عارف أقولك إيه بجد، حقك عليا يا قمر.

قمر : أنا عارفة يا حبيبي إنه مش ذنبك، وهحاول وقت تاني آخد إجازة، بس المهم حالًا تروح تشوف خالك، وأنا هجهز لك الشنط.

بدأ رامي في تهيئة نفسه، بينما كانت قمر تجهز له الحقائب، لينظر لها ضامًا إياها إلى صدره، ثم قبلها مودعًا إياها قاصدًا سوهاج.

بعد أكثر من أربع ساعات تعطلت سيارة رامي في طريق صحراوي لا يوجد به سوى الرمال فقط، ينظرُ يمينًا ويسارًا ، وقد بدأت الشمس في الغروب ، وأوشك الظلام أن يسيطر على الأجواء.

ترجَّل رامي من السيارة ، ثم قام بفتح الغطاء الأمامي ؛ لعلَّه يستطيع إصلاحها ، لكن ما أن رفع الغطاء حتى صُعِق مما رآه!

وجد قطةً سوداء قد فارقت الحياة تحت غطاء سيارته، والدماء تغرق كل شيء من حولها ، حاول تجميع أشلاء القطة ، ثم إلقائها بعيدًا.

وقف قرابة الساعة على الطريق؛ على أمل أن تمر سيارة يطلب من سائقها المساعدة، أو أن يقله معه إلى سوهاج.

بدأ رامي في التحرك؛ فهو لن يبقَ مكتوف الأيدي، كان يتحرك في كل مكان، ويترك دومًا خلفه أثرًا؛ ليعود مرة أخرى لمكانه.

وجد خيالًا لبيتٍ من بعيد، كان دومًا يسمع عن ظاهرة السراب، لكنه الآن ليلًا، ذهب إلى هذا المنزل؛ علّه يأتي بمساعدة، أو يبيت ليلة على أمل أن يأتي أحد في اليوم التالي، ولكن كيف؟

حتى هاتفه لا يعمل؛ فلا يوجد إشارة، كيف يكون هذا بيتًا؟ فهذا شيء أشبه ببيتٍ صغير من القش من الخارج!

ما أن اقترب رامي من البيت أخذت الرمال تدور حول بعضها البعض، بدأت تتشكل كأنها حية مختبئة؛ لتفتك بفريستها، لكن لم ينتهِ هذا، بل أخرجت الرمال من جعبتها عقارب، لم يستطع رامي الحركة، بل وقع على الأرض مستسلمًا تمامًا لما يحدث، وقد بدأت الرمال في جذب رامي إليها كأنه عشائها لتلك الليلة إلى أن

خرجت امرأة بملابس تبدو كخاصة البدو، وقفت أمام باب البيت، وقامت بالطرق على يديها حتى زال كل شيء كأن كل هذا لم يحدث، وتحدثت بكل هدوء:

أنت على الأرض كدا ليه؟

تحدث رامي : أنتِ ماشوفتيش؟ كنت هموت لولاكِ!

تحدثت تلك المرأة ذات الوشاح الأسود، حيث كانت امرأة في العقد الرابع من عمرها، ذات قوامًا مثاليًا، حين تنظر إليها تظنها فتاة في الخامسة والعشرين، بشرتها بيضاء مثل الثلج كأن الروح سُلِبت منها للتو، تحدثت إلى رامي مجددًا:

ماشوفتش حاجة، ممكن تكون فقدت اتزانك عشان كدا وقعت يا رامي.

نظر لها رامي :

_ممكن أكون توهمت كل اللي حصل، لكن أنتِ عرفتي اسمي ازاي؟

نظرت له تلك المرأة بقوة :

_أنا أعرف اللي أعرفه، قول عني حكيمة، عرافة، قول اللي عايز تقوله.

تجاهل رامي ما حدث :

_كنت محتاج مساعدة، عربيتي اتعطلت على الطريق ومحتاج حد يصلحها.

_قالت : متقلقش، اتفضل ادخل، وهنحاول نحل المشكلة، عندك فرصة مش هتيجي مرة تانية.

_رامي : فرصة؟ مش فاهم حضرتك ممكن تفهميني، أو ممكن بس أقضي الليلة هنا.

_قالت : عايز تبات هنا، وأنا بقولك عندك فرصة حلوة؟

_أنت نفسك في إيه من الدنيا يا رامي؟

نظر رامي إلى داخله، كما مزق هذا السؤال قلبه، مثله كمثل أي شاب حلم بالراحة، ولم يجدها في الحياة!

تخرج من كلية الهندسة بأعلى الدرجات، كما كان الأول على دفعته، حلم بأن يكون معيدًا، ولم يتحقق حلمه؛ لأن من تعين كان ابن الدكتور، والذي كان معه في نفس العام، حلم بفتاة، فمزق العشق قلبه، ليحلم باليوم الذي يكون بجانبها فيه، وكما وكأن القدر واقفًا له كحائط صد؛ ليمنعه، وتزوج ابنة صاحب والده، لم يذق حنان الأم؛ فهو لا يعلم عنها شيء سوى أنها تركته منذ صغره، حتى حين اقترب زواجه، وبعد كتب كتابه بأسبوع تعرضت زوجته لحادث أثر على منطقة حساسة بها أدت إلى العقم، ولكنه لم يتركها؛ فهذا قدر الله له، فبقي معها.

هنا نزلت من عيني رامي دمعة قهر، ثم تطلع إلى تلك المرأة مرة أخرى، تركها وغادر قاصدًا سيارته، لا يريد شيئًا منها؛ فقد فتحت ألمًا بقلبه كان يتمنى محيه، ولكنها لحقته قائلةً:

أنت دخلت هنا بإرادتك، بس مش هتخرج غير بإرادتي!

جهزت له مكانًا للنوم، ثم ذهبت قليلًا، وعادت تحمل له طبقًا بلاستيكيًا يحوي مشروبًا بمادة خضراء ذات رائحة جميلة، أعطته إياه قائلةً :

_دا هيساعدك تنام.

بعد أن شربه رامي، وضع رأسه على الوسادة، وهنا اهتز كامل جسده، وأخذ ينتفض بشدة.

قطعت تلك المرأة ملابسه، وقد برزت كامل عروقه، وأحضرت آلة حادة، وكوبًا بلاستيكيًا، ثم قامت بجرحه بجانب عرق، ورسمت على يده نجمة خماسية نزلت منها الدماء، لتملأ الكوب البلاستيكي، ثم نظرت له قائلةً :

_هتشكرني بعدين!

تركته، وفتحت بابًا ملتصقًا بالأرض، كان مغطًّ بكومة من القش، ونزلت على أدراج السلم إلى تحت الأرض، هنا نظرت إلى غرفة أمامها أشبه بغرف السجن، فتحتها، وإذ بفتاة أمامها مقيدة بسلاسل ملتصقة بالأرض، خلعت المرأة الوشاح، وأخذت كومة من الرماد الأحمر، ثم أمسكت بإصبع من الطباشير؛ لتبدأ بالكتابة على تلك الرمال على الأرض بلغةٍ غريبة، أحاطت تلك الكلمات بالفتاة من كل مكان، ثم قامت بتقطيع ملابس الفتاة الأفقية، ورسمت نجمةً خماسيةً على جسد الفتاة، ثم تمتمت ببعض الكلمات بصوتٍ خافت، ووضعت كأس الدماء بين ساقي الفتاة، ثم أغلقت الغرفة خلفها تاركةً إياها يدوي صوتها في الأرجاء.

أغلقت المرأة باب الغرفة منتظرةً ما سيحدث..

وفي لمح البصر خرج دخان من كل مكان بالغرفة كأنها تحترق من الداخل، لا تعلم ما حدث بداخلها، ولكن جلّ ما تريده أن تنهي ما بدأته، تُحدِّثُ نفسها بأن ما حدث لها في الماضي لا بد وأن يكتمل، ولا طريق للعودة الآن.

لم تسمع صوت صراخ، أو ما شابه، ففتحت الغرفة لتجد أن الفتاة اختفت، لا يوجد سوى بقايا هيكل عظمي فقط، وحتى الكأس قد اختفى أيضًا.

نظرت إلى سقف الغرفة، فوجدت كلمات بلغة هي تفهمها جيدًا

"كل شيء انتهى؛ القربان، وكذلك الدماء، انتظري فقط."

أغلقت الغرفة، ثم صعدت إلى الأعلى فوجدت رامي في نوم شبه ميت، ابتسمت، ثم غادرت.

***

****وفي اليوم التالي..**

وجد رامي نفسه نائمًا على الرمال، ولا أثر للبيت، ولا أي شيء آخر، وأخذ وقتًا؛ ليفكر بما حدث، لا يفهم شيئًا، تحرك يمينًا ويسارًا كأنه على وشك الجنون، نظر إلى ذراعه فوجد علامة الجرح، أخذ يحفر؛ لعلّه يجد شيء أو أثر إلى البيت، ولكنه وجد مدخل إلى أدراج السلم المؤدية إلى الغرفة التي دخلتها تلك المرأة، ولكن لا أثر إلى السلالم، فنزل رامي بحذر إلى الأسفل، وما أن نزل حتى أحس بشيءٍ غريب كأنه قادرٌ على رؤية ظلال تتهامس حوله، أشياء تمر من أمام عينيه

بسهولة، بدأت قشعريرة تسري في جسده حتى وجد غرفةً صخريةً أمامه مفتوحة، خطى بقدمه اليمنى داخلها، ثم خطى بالثانية، ولكنه فقد السيطرة على قدميه، ونزل على ركبتيه بوهن، تحولت الغرفة فجأة إلى تلك الغرفة التي دخلتها تلك المرأة، بدا وكأنه صار مُشاهِدًا إلى الحدث الذي تم هنا، سمع صوتًا جعل قلبه يخفق بشدة :

_انظر إلى قربانك.

وجد امرأة أمامه بين ساقيها كأسٌ من الدماء، وقد تلونت جدران الغرفة باللون الأسود، وبدأت الجدران بالتشقق، حتى خرجت من كل شق مجموعة من الديدان الملتهبة من النار تركض سريعًا على جسد الفتاة.

حاول رامي الوقوف، كما حاول إغلاق عينيه، ولكن بلا فائدة، حاولت الفتاة الصراخ، ولكن ما أن فتحت فمها كانت الديدان تتسابق؛ لدخوله، صارت تنتفض من داخلها، وبدأ جلدها في الذوبان بفعل حرارة الديدان، وما أن تنتفض الفتاة حتى يقل الدم تدريجيًا من الكأس.

لاحظ رامي أن الجزء العلوي من الفتاة هو المقصود فقط، أما الجزء السفلي انشقت الأرض ليسقط منها إلى الأرض، ثم انغلقت الأرض.

لا يعلم ما يحدث، عجز حتى عن البكاء!

بعد لحظات، وبعد أن تحولت الفتاة إلى هيكلٍ عظمي من الأعلى تفتحت الأرض، ليرتفع الجزء السفلي أيضًا؛ ليُكمل الهيكل، كأن الشياطين كانت تتغذى في الأسفل.

بعد هذا المشهد الذي لن يُنسى أبدًا أظلمت الغرفة بأكملها، ولم يستطع رامي أن يرى من حوله، ولكنه أحس بأن أحدهم معه في الغرفة، أحس بأن يدًا تتحسسه، سمع صوتًا يقول له :

_ستأخذ هديتك.

بدأ رامي في الركض كأن شياطين الكون تجري خلفه، وما أن خرج من الفتحة ركض إلى سيارته، حتى وصل إليها، فأغلق نوافذها، وظل يتلفت حوله مثل اللص الذي يخشى أن يراه أحد، لا يعلم شيئًا، جسده يرتعش، خائفٌ يندب حظه كل ثانية إلى أن أتت سيارة من العدم لتقف إلى جوار سيارته، وقد خرج منها رجل ليطرق على زجاج سيارة رامي الذي فزع من أثر الطرق، ولكن ما أن رآه ابتسم تلقائيًا.

_تحدث سمير : حضرتك عندك مشكلة في العربية؟

أجاب رامي بتوهان كأنه يتعلم الكلام لأول مرة :

_سو سو هاج عرب عربيتي عط عط عطلت

أحس سمير بأن رامي به خطبٌ ما، فأخذه معه في سيارته قاصدًا سوهاج.

الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.

الوقت الحاضر

(قمر)

استيقظت قمر، فأحست بشيء تحت الغطاء، فأزالته بسرعة عن جسدها، لتجد كأس دم به قطة سوداء صغيرة.

صرخت قمر صرخةً اهتزت على إثرها العمارة التي تسكن بها، فحضر من حضر من النساء والرجال من كل مكان، وكسر أحدهم الباب ليدخل الجميع الذين وجدوا قمر فاقدةً للوعي، حتى قال أحدهم :

_لا حول ولا قوة إلا بالله، فوقوها يا جماعة بسرعة!

ذهب آخر؛ ليرى ما إن كان سارق دخل المنزل، وأخذ الجميع يتمتم ويتحدث باستغراب، وظلت تلك المرأة بالوشاح الأسود تقف بينهم لا تتحدث، ولكنها غاضبةٌ أشد الغضب.

قالت أمل (طالبة في كلية الطب) :

_أنا هبات معاها يا ماما؛ عشان شكل الضغط عندها عالي قوي، ممكن تتعب.

_لترد عليها والدتها : ماشي يا بنتي لما تفوق عرفيني أنا مش هنام.

_فتحدثت المرأة ذات الوشاح الأسود وأخيرًا : أنا كمان هبات معاها.

فنظر الجميع إلى تلك المرأة باستغراب، حتى قالت أمل :

_حضرتك مين أصلًا؟

_أنتِ مش من العمارة، ولا نعرفك، أنتِ دخلتِ هنا ازاي؟

_لتقول : أنا قريبة جوزها رامي من سوهاج، بعتني انهاردة؛ عشان أقعد مع مراته؛ عشان عندها السكر، الحق عليا إني جيت الطريق دا كله؛ عشان مراته، وأنتِ تقابليني بالكلام دا؟

ثم بدأت بالتظاهر بالبكاء، ولكن كما يقال أنها دموع التماسيح، فأحست أمل بشدة كلامها، ثم رجعت عن كلامها :

_صدقيني أنا آسفة قوي، مكانش قصدي، متزعليش مني، اتفضلي البيت بيتك.

جهزت أمل غرفة الأطفال لتلك المرأة على أن تبيت أمل مع قمر بحكم أنها طبيبة، ثم نام الجميع.

دقت الساعه الرابعه صباحا..

فتحت أمل عينها فوجدت نفسها على أرض صحراوية من رمال حمراء حارقة، بدأت قدماها بالاحتراق، ولكنها بدأت في الركض، وهي تصرخ، بدأت كذلك

تشتم رائحة لحم يحترق، وهي تعلم أن قدميها تحترقان، وجدت بيتًا أشبه ما يكون بكومة من القش، دخلت إلى البيت، وما إن دخلت حتى بدأت أنفاسها تنتظم، وجدت نفسها كما ولو أنها في حفرة من نار، أمام عينيها رأت الآلاف من العظام حولها، وجدت قمر على الأرض أمامها، وجدت شيئًا يأكل في جسدها له ذيلٌ طويل بدون ملامح، وجهٌ أبيض كامل ليس له عيون، فقط فم، تراجعت أمل إلى الخلف، فأحس هذا الشيء بوجودها، فوقف لترى طوله أكثر من ثلاثة أمتار، يصدر صوت مثل التكتكة، نظرت أمل إلى الباب الذي دخلت منه، لتراه قد اختفى، وتحول المكان بأكمله إلى جحيم من النار، وهي تقف على جسر هي وهذا الشيء، وقمر ملقاة أمامها على الأرض بدون أمعاء، حاولت أمل الركض، ولكن هذا الشيء كان قد قفز عليها، فبدأت في الصراخ.

أخرج هذا الشيء لسانه، وبدأ بتحسس وجهها، فتح فمه وبدأت أسنانه في الظهور من صفوف خلفية إلى وسطى إلى أمامية؛ كان له ثلاثة صفوف من الأسنان المدببة خلف بعضهم البعض، ولكن قبل أن يبدأ بالتهام وليمته لمحت أمل قمر تنهض بجسدها ولكن رأسها نائم للخلف كأن رقبتها قد كُسِرَت، وقفت قمر لتنقض على هذا الوحش، فوقع كلاهما في الجحيم إلى أن أفاقت أمل من النوم فزعة، لتجد تلك المرأة ذات الوشاح تقف أمامها بابتسامة.

الفصل الثاني

(رامي)

ما إن اقترب سمير من سوهاج حتى قام بإفاقة رامي من نومه المتقطع حيث كان يهتز بشدة طوال الطريق، حتى أن سمير شعر عليه بالخوف؛ فهو لم يستيقظ حتى الآن، وعزم على أخذه إلى منزله؛ ليرى ما قصة هذا الرجل.

دخل سمير حاملًا رامي على كتفه، ففزعت زوجته سلمى بهذا المنظر؛ لأنها ظنت أن زوجها صدمه بسيارته، ولكنه طمأنها أنه فقط مريض، وقد حمله إلى هنا؛ لتفحصه والدته الحكيمة.

بعد ساعة أتت الست أمينة والدة سمير إلى المنزل، وما أن خطت بقدميها إلى البيت سرت في جسدها قشعريرة أخذت تسري به دون توقف، حتى سقطت على ركبتيها، واستمرت على هذا الوضع لمدة كبيرة، بينما يحاول سمير إمساكها، وهي تردد:

_ليس مرة أخرى .... ليس مرة أخرى..

حاول سمير معها حتى بدأت تهدأ

_سمير: مالك يا ماما؟ إيه اللي حصل؟

_الست أمينة : مش هعيده تاني، مش هعيده تاني أبدًا، لا لا أبدًا، إيه الريحة دي؟ إيه القوة اللي في المكان دي؟ إيه الظلال اللي حواليا دي؟ هيمسكوني!

لا أنا عملت كل حاجة بس مكانش قصدي؛ كنت خايفة بدافع عن نفسي، ليه راجعة تاني؟ عارفة إن أنا السبب، سيبيني في حالي، ابعدي عني!

_سمير: مالك يا ماما فوقي!

_سلمى : اهدي يا ماما، اهدي يا حبيبتي، وقوليلنا ايه اللي حصل.

لم تكد تبدأ الست أمينة في الحديث، حتى اهتزت جوانب المنزل بأكملها، النوافذ تُفتَح وتُغلق، المرايات تتفجر، والأبواب تتطاير في الجو، البيت بأكمله يهتز بقوة.

صرخ سمير في زوجته أن تحمل والدته معه، ولكن خرج صوتًا من العدم، ليهدأ كل شيء:

_لم أنسَ يا أمينة، تذكري ما فعلتِه.

ارتعبت أمينة إثر هذا الصوت، حتى وقعت مغشيًا عليها... استغرق سمير قرابة الساعة يحاول إفاقة والدته بعدما فقدت الوعي، ثقُل لسانها، وبدأت في التأتأة حتى هدَّأها سمير، كما شرعت سلمى في البكاء على حماتها التي تبدو خائفةً من كل ما حولها.

_سمير: اهدي يا ماما اهدي أنتِ هنا بيننا، قوليلنا ايه اللي حصل؟

_الحكاية بدأت في أكتوبر ١٩٩١.

أكتوبر ١٩٩١

_إيه يا حبيبتي الحفلة عجبتك؟ كنتِ مولعاها رقص يا أمينة!

_أمينة : يا راجل اسكت، وأنت اللي مكنتش بترقص يعني يا صابر؟

_صابر : استني بس كدا، هي العربية سخنت كدا ليه، انزلي يا أمينة كدا.

رفع صابر غطاء السيارة الأمامي، ليجد جزءًا كبيرًا منها متهالك، فوقفا قرابة الساعة الواحدة والربع بعد منتصف الليل على أمل أن تمر أي سيارة تأخذهما معها، مرت الساعة ولم تمر أي سيارة، فحمل صابر مصباحًا يحاول تفحص الطريق، فوجد بيتًا من القش على قرابة المائة والسبع عشرة مترًا، فأخذ بيد أمينة لهذا البيت حتى وصلا إليه، فأحست أمينة بأنفاسٍ تقترب منها، وأصوات همسٍ تتحدث إليها، ولكنها بدأت تقنع نفسها أن هذه مجرد هلاوس.

وقف صابر أمام تلك العشة، ليشعر بشيء يتحرك أسفله، فوقف يرتعش من الخوف، كما أن أمينة شعرت بنفس الشيء، ليرتعب جسدها هي الأخرى.

خرجت قطة سوداء لتقف أمامهما تزمجر، حتى ارتعبت أمينة، فصرخت، فهربت القطة داخِلةً إلى هذا المنزل، وبعد أقل من دقيقة فتحت الباب امرأة صغيرة بوشاح أسود متحدثةً إليهما:

_انتوا مين؟

_صابر : بتأسف لحضرتك جدًا، احنا كنا راجعين من القاهرة، بس العربية اتعطلت، واستنينا كتير أي عربية تعدي وتاخدنا معاها، بس للأسف مفيش إلا بيت حضرتك هو اللي قريب.

سمعت الفتاة صوت والدتها من الداخل يقول : دخليهم يا بدوية.

دخل صابر وأمينة إلى ذاك المنزل، ليجدا جلود لحيوانات من أبقارٍ وذئاب، كما وجدا جماجم لحيواناتٍ كذلك.. تجاوز صابر كل ما يراه، وشكرهما على ضيافتهما، حتى أتت بدوية بطبقين من البلاستيك يحويان مشروبًا؛ لتعطيهما إياهما، ولكن عنفتها والدتها بصوتٍ عالٍ: مش حالًا.

جلسا أمينة وصابر في ركنٍ من الأركان ليتحدثا عن الحفلة، وما حدث بها من رقصٍ وغيره حتى أتت إليهما بدوية:

_أستاذ صابر ماما عايزاك.

نظر صابر إليها غير مدرك لسبب الدعوة، لكنه ذهب معها، ونظر إلى الست حية :- نعم حضرتك؟

_حية بحزم : أنت الراجل الوحيد اللي لمس بنتي، يبقى لازم تتجوزها!

فزع صابر من تلك الكلمات:

_حضرتك أنا ملمستش بنتك، احنا لسه جايين حالًا، وأنتِ بنفسك اللي دخلتينا البيت.

_الست حية : مش جوا البيت، أنت لمستها برا البيت.

_صابر: أنا والله لسه جاي مع أمينة حالًا حتى اسألها.

_الست حية : ممكن تقوللي أمينة دي تبقى مين؟

تردد صابر في الإجابة؛ فهو يعلم من داخله أنها امرأة من منطقته في سوهاج يقضي معها بعض الوقت ليس إلا.

_الست حية : يبقى مش مراتك! يعني لازم تصلح الغلطة!

_صابر بصراخ : أنا معملتش حاجة، ومش متجوز حد.

ثم تحرك من أمامها، ولكنه رأى القطة تزمجر من جديد، ليرتعش جسده من الخوف : ابعدي القطة دي من هنا!

_نظرت حية له بغضب : أبعِد بنتي من هنا؟ أنت اتجننت؟

شهق صابر شهقة عمره، ليجد حية تقف أمامه وقد ذاب جلد وجهها، وظهر وجه بلحم من الداخل، وفتحت فمها لتخرج مادة غريبة رائحتها أشبه برائحة القمامة، ما أن استنشقها حتى وقع أرضًا، فسحبته القطة إلى غرفة في الأسفل.

تطلعت أمينة إلى الست حية التي أخذت تنظر إليها كأن عينيها تصلبت عليها هي فقط.

_أمينة : حضرتك بتبصيلي كدا ليه؟ وفين صابر جوزي؟

_حية : جوزك؟ أنتِ فاكراني عبيطة يا بت أنتِ، دا واحد بتسهري معاه مش أكتر، لكن مش جوزك!

_وقفت أمينة بعصبية : أنتِ بتقولي إيه يا ست أنتِ؟

نظرت حية إلى ظل أمينة خلفها، لتراه قد تشكل إلى صورة طبق الأصل منها، وقد وقف أمام أمينة بأعين مشتعلة.

ما أن رأت أمينة شكلها حتى أخذت تتراجع للخلف، وتنادي صابر بأعلى صوت؛ ليكون معينًا لها، لكن من منهما يحتاج إلى معينًا الآن، وكلاهما في حالٍ أسوأ من الآخر؟

أخذت أمينة تركض حتى اقتربت من الباب، وفتحته لتهم بالخروج والركض، ولكنها وجدت نفسها كأنها فتحت الباب؛ لتدخل إلى البيت مرة أخرى!

_لا يوجد مهرب يا صغيرتي.

ليقفز ظل أمينة عليها بأعين دامية، فتحت فمها، ثم غرست أسنانها في رقبة أمينة التي صرخت صراخًا لولا المبالغة، لقلتُ سمعهُ كل من في الكون، إلى أن لطمتها أمينة، وهمت لتركض، ولكنها وجدت القطة تجر رأس صابر!

الحياة تشكل لك فرص، لكن لن تعطيك كامل الفرصة، صدقني!

الفصل الثالث

(بدوية)

_صباح الخير يا أمل، كنت لسه داخلة أصحيكِ؛ عشان تفطري.

تلعثمت أمل في الرد، فتركتها قاصِدةً الحمام.

اقتربت المرأة ذات الوشاح الأسود -أو كما تقول في مخيلتك عزيزي القارئ الآن (بدوية)- من قمر الغائبة عن عالمنا، وأخرجت من وشاحها كأس به مادةٍ ما، ووضعت الكأس بين قدمي قمر، ثم بدأت برسم نجمة خماسية على الأرض، وبعض الكلمات الغير مفهومة كذلك، ورفعت فستان قمر، لترسم على بطنها بعض الكلمات ذات السحر السفلي، وما أن انتهت حتى وقفت تصرخ بصوتٍ عالٍ:

"غزوت الجسد دماء عجزت أن تنبت في الرحم روح".

"بنيتُ هيكلًا كاملًا مع بلاء كل يومٍ يفوح".

"سأريك عظمة سحرٍ كان يومًا كنزًا مكروهًا".

"الإنس والجن كلاهما تحت سيطرة عقولٍ تثور".

ما أن انتهت مما تردده أنارت الكلمات على الأرض، وعلى جسد قمر بلون الدماء، تشققت الجدران، وسقف الغرفة، وخرجت نفس الديدان الملتهبة، لتقف مشكِّلةً جسد النصف العلوي لفتاة أنتم تعرفونها جيدًا، وبعد وقتٍ قصير انتهت

الديدان من صنع الهيكل، لتبتعد عنه، فسقطت بدوية على ركبتيها، لتنظر إلى الديدان بأعين بيضاء تمامًا، ثم سجدت أول سجدة، لترتفع الديدان جميعها إلى أعلى الغرفة، وبدأت بالاشتعال فوق نصف الهيكل حتى أخذ يتساقط الرماد الأسود في فم الهيكل، وبعد ثوانٍ دبت الروح مرة أخرى في الفتاة.

نظرت بدوية إلى نصف الهيكل وقالت:

_كل شيء مكتوب، لا أعلم ما تظنينه، ولكن ما أعلمه جيدًا أن لا بد أن تموتي؛ لتنبت الروح في جسد شخص آخر، أنتِ لا تعلمين ما تفعلينه، ستحررين ابن من أبناء إبليس، لكن من رحم إنسية عقيمة، الدماء قُبِلَت من الإنس، وأنتِ قُبِلتِ كقربان، التهمتك ديدان، التهمتك شياطين، ورغم ذلك أعادك إبليس للحياة، تلك الفتاة هي مفتاح ابن الإله إبليس.

نظرت لها ماجي التي فهمت أنها أعادتها من جحيم الآخرة؛ لتعطي لتلك الفتاة الرحم الذي يعد بمثابة البوابة لإبليس.

أخذت تفكر حتى قالت:

_أنا أعلم نهايتي جيدًا، رغم هذا كانت حياتي عبارة عن معاناة.

فخرجت الديدان مرة أخرى، وأخذت تلتهم جسد ماجي بعدما علمت الإجابة؛ ألا وهي أنها موافقة على العطاء.

***

(رامي)

في عالم كل شيء فيه يغزوه اللون الأحمر وجد رامي نفسه يقف على رمالٍ مشعة بنفس اللون، ووجد تحت قدميه صورة تحمل كل شيء بالنسبة له، صورة زوجته في أحضان..! أخي مراد!

اتحدت الرمال مع بعضها البعض مكونة رأس امرأة من الرمال، تلك المرأة من البيت :

_أنا فين؟ ليه كل دا بيحصل؟ أنا متأكد إني في حلم، لكن ليه بيحصل كل دا؟

صدى ذاك الصوت مجددًا :

_رامي كلٌ منكم له ماضٍ سيدفع أحد غيره الثمن إلا أنت كل من حولك سيموتون، كل من أحببته دفع ذنب لي في الماضي، هذا الثأر لن ينتهي، ستعلم ما حدث لوالدتي، يكفي أنك تحملت ذنب فتاة تدَّعي الحب، تذكَّر ما في يدك هنا.

وقع رامي أرضًا ثم استيقظ في بيت سمير يده تنزف الدماء، صار يمسك رأسه من صداعٍ يضربها، كما أخذ يصرخ من الألم.

ركض إليه سمير ينظر إليه بصدمة، ثم ابتعد للخلف:

_إيدك نزفت كدا ازاي؟ مين اللي سبب لك الجرح بالكلمة دي؟!

نظر رامي إلى يده ثم نظر إلى سمير بنفس الصدمة، تلك الكلمة من الحلم!

صرخت الست أمينة كذلك، وكشفت عن يدها لتعم الصدمة على الوجوه، فنفس الكلمة موجودة على يدها "**تذكر**"

اتجه سمير إلى والدته :

_ماما أنا جنبك يا حبيبتي، إيه اللي حصل؟ عشان خاطري قوليلي.

_الست أمينة : أنا شوفت أبشع مشهد في حياتي يا سمير لما شوفت القطة ماسكة رأس صابر، شوفت حية والقطة والصورة اللي شبهي بيقربوا مني، بدأت أرجع ببطء وأنا بردد آيات من القرآن في سري، ومرة واحدة لقيتني بصرخ بآية الكرسي، فاتهزت الصورة اللي شبهي، ولقيتها اتبخرت، لقيت الست حية رجعت جابت سكينة، بس وأنا بردد سور من القرآن جريت عليها، ومسكت السكينة من إيديها، لقيت وشها بقى عظام بس بشعر أبيض، صرخت فيا بقوة، فلقيت نفسي طايرة بعيد وجنبي خشب فيه نار، مسكت واحدة النار ماسكة فيها وبدأت أولع في البيت، لقيت القطة بتقرب مني ضربتها بالخشبة اللي فيها النار، فلقيت الست حية رجعت لشكلها الطبيعي بنظرة خوف على القطة السودا دي، أنا ربنا قدرني وجريت يا بني، مسكت السكينة وضربتها في رقبتها وأنا عمالة أغرس أغرس لغاية ما فصلت رقبتها عن جسمها كله.

_سمير:أنتِ عملتِ كدا ازاي يا ماما؟ أنا ابن مين يا ماما قوليلي؟

_أمينة والدموع في عينها تحرقها : أنت ابن صابر يا سمير.

وقف سمير ينظر إلى حاله كأنه يقول :

_لا أنا لستُ ابنًا من خطيئة، أنا لستُ ابنًا من فاحشة.

_سلمى ببكاء : سمير سمير!

نظر سمير إلى زوجته بوهن، ثم نظر إلى والدته، حتى ترك الجميع وغادر، أخذت سلمى تركض خلفه، والست أمينة تبكي، لا تدري لأي سببٍ تبكي؟

هل؛ لأن وجود رامي هو من فتح هذا الباب الذي أغلقته منذ سنين؟ أم؛ لأنها أخبرته بالسر الذي دفنته؛ ألا وهو أنه ابن من عمل فاحش؟

جلس رامي في ركن من الأركان، وكل ما في عقله :

_هل كل هذا كان سببًا؛ لأكون هنا؟ هل كنتُ سببًا لفضح تلك المرأة؟

تذكر للحظة حين كان في منامه، ورأى تلك المرأة قد جعلته يرى صورة زوجته مع أخيه. حين تذكر رامي تلك الذكرى أضاءت الكلمة على يده، ثم اختفت مرة أخرى.

شرع رامي في التحرك؛ ليغادر بيت سمير، ولكنه قابل الست أمينة في طريقه للمغادرة، فألقى عليها التحية، وكاد أن يغادر، ولكنها أمسكت يده :

_أنت أكيد عمل من أعمالها يا رامي.

_رامي : أنا عمل؟ مش فاهم!

_الست أمينة : هي اللي باعتاك، صح؟ عشان تجنني، أنت اللي فتحت القديم، أنت السبب.

_رامي : والله العظيم أنا مش عارف حاجة، أنا اللي فيا هيموتني!

_الست أمينة بدموع : لو كلامك بجد يا بني، والعلامة دي حقيقية يبقى أنت هتشوف الحزن طول حياتك.

_رامي : إيه اللي حصل بعد ما موتّي الست حية؟

_الست أمينة : لا يا بني هي جسمها اللي مات بس فضلت عايشة.

_رامي بصدمة : ازاي؟ مش أنتِ فصلتِ رأسها عن جسمها؟

_الست أمينة : أيوا يا بني، أنا هفهمك... أنا بعد ما غرست السكينة، وفصلت رأسها عن جسمها الرأس صرخت، والنار كانت بتاكل في كل مكان في بيت القش، لقيت الحمد لله مخرج من النار، أول ما شوفت الرمل بتاع الصحراء جريت برا لقيت القطة اتحولت لبنتها اللي قابلتنا برا (بدوية) وكانت ماسكة رأس الست حية، وبتخرج من العشة، لكن رأس أمها حية بتتكلم، وجسمها هو اللي مات.

_رامي : العلامة اللي في إيدك دي ظهرت ازاي؟

_الست أمينة : أنا حلمت حلم يا بني مش فاكرة أحداثه قوي لكن كانت آخر كلمة فيه فاكراها "تذكري" بعدها شوفت سواد الدنيا كلها من كل اللي بحبهم حتى ابني سمير.

أخذت الست أمينة في البكاء، فاقترب منها رامي يواسيها بأنه اختبار من الله لها؛ لكي يختبر صبرها، ولكنه لا يعلم أنه سيمر بذات الاختبار.

*****

(قمر)

دخلت قمر إلى الحمام؛ فقد حلمت بكابوسٍ مفزعٍ كان ضيفًا لأحلامها الليلة جعل جسدها يرتعش؛ فهي منذ تلك الواقعة تحوم حولها الكوابيس دومًا.

دعت ربها كثيرًا أن يغفر لها عما فعلته، لكن كيف لها أن تنظر إلى الله؟

حين رأت في داخلها أن الحياة التي أعطاها إياها ليست عادلة؛ فقد خُلقت وحيدة، لا يحبها أحد، دائمًا مكروهة، منذ أن كانت في الابتدائية حتى الثانوية، كان الجميع يتحاشى التحدث معها، حتى أنها ذهبت إلى شيخٍ تروي له ما هي به، فأخبرها أن هذا من عند الله، وأنها مؤمنة؛ فكيف تقول بأن الله ليس بعادلٍ معها، وأن الله عادلٌ مع الجميع سيعطيكِ رزقك في وقته، ولكن لم يُشبعها كلام الشيخ، فشرعت في البحث عن الدجالين في الحواري الأخرى حتى أنها ذهبت إلى قرى الصعيد، كانت تبحث في كل مكان إلى أن كانت على طريقٍ تغمره رمال الصحراء أثناء القيادة إلى أحد الدجالين في قرى الصعيد، فوجدت شيئًا يلمع بين الرمال، أوقفت السيارة بسرعة، ولكن ما أن اقتربت من هذا الشيء ابتعدت بتفاجؤ حتى وقعت على الأرض، فقد وجدت كتابًا أسودًا بعنوان (حارثك).

أمسكت قمر الكتاب بيدها، أخذت تنظر إليه، لا تفهم ما هذا الكتاب، كادت أن تفتحه، ولكن سمعت صوتًا خلفها :

_انتظري.

نظرت لتجد الرمال تتحرك، لا بل هناك شيء أسفل الرمال هو من يتحرك، أخذت تنظر لوهلة، يكاد قلبها أن يتوقف عن ضخ الدم، وجدت ثعبانًا بطول الثلاثة أمتار يقف أمامها، أخذت تحاول الهدوء، وتطمئن نفسها بأن ما تراه مجرد سراب ليس إلا، وأغلقت عينيها لتردد آيات من القرآن، فتحت عينيها مجددًا فلم تجد شيئًا أمامها.

انطلقت سريعًا إلى سيارتها، وفي يدها الكتاب، لا تعلم ما يوجد بداخله، لا تهتم به الآن، كل ما تهتم به الآن تصديق أن ما رأته ليس بحقيقي أبدًا.

دخلت قمر إلى سيارتها، ولكن قبل أن تنطلق وجدت امرأة تلوح لها من بعيد، فانطلقت بسيارتها قليلًا، لتأتي لها تلك المرأة سريعًا.

_قمر : في حاجة؟ حضرتك عندك مشكلة؟

_المرأة : معلش يا ختي أنا عربيتي بس عطلت، ومشيت مسافة؛ عشان أشوف أي عربية ترجعني القاهرة بس للأسف توهت.

_قمر : مفيش مشكلة، أنا راجعة القاهرة، هوصلك معايا.

_المرأة بتفاجؤ : إيه دا أنتِ جبتي الكتاب دا منين؟ أنتِ تعرفي إن الكتاب دا مفيش منه غير نسختين بس في العالم كله؟

_نظرت لها قمر بتعجب : نسختين بس في العالم ازاي؟ وبيتكلم عن إيه الكتاب دا؟ وأنتِ عرفتي الكتاب دا منين؟

_المرأة : الكتاب دا يا أستاذة...

_قمر: اسمي قمر، وحضرتك؟

_المرأة : أنا سمر.

الكتاب دا أقوى كتب الشياطين، كتبه خادم الشيطان (نيرقة بن رام) عبارة عن كتاب أماني تقدري تحضري شيطان يكون مرافق ليكِ، بس في حاجة صغيرة كدا، مش عارفة أقولك إيه!

_قمر بخوف : حاجة وحشة يعني يا سمر؟

_سمر: آه وحشة بس ممكن تكوني فعلًا لقيتيه مش بقصدك.

نظرت قمر إلى سمر تحثها على إكمال كلامها.

_أكملت سمر: الكتاب دا يا قمر كتاب شيطاني مش بيظهر لحد إلا لما بكون الشخص دا على حافة الكُفر، فبيظهر الكتاب دا ليه وبيعطي الشخص دا كل اللي بيحلم بيه لكن لازم يُستخدَم بحذر!

_قمر: تقصدي إن أنا ممكن أكون في طريق الكفر؟

_سمر: ممكن يا قمر، صدقيني أنا معرفش حياتك فيها إيه، أو إن كانت صدفة إنك تلاقي الكتاب دا أو لا، لكن كل دا اللي أعرفه.

_قمر: فيه حد استخدم الكتاب دا قبل كدا يا سمر؟

نظرت سمر إليها لتهز رأسها بمعنى نعم، لتروي لها كارثة حدثت في صعيد مصر، وبالتحديد في محافظة قنا.

دائمًا ما يكون هناك طعم في الحياة، يأتي لك ذات يوم يقول لك: الآن ستبدأ معي مرحلة الذل.

(قد تكون أسطورة أو خرافة)

ذات يوم في زمنٍ ما حدث زلزال في مصر تقريبًا لمدة ثلاث دقائق كان كافيًا ليدمر بيوتًا من القش، وبيوتًا طينية في محافظة قنا، وقد خرج الرجال والنساء حينها إلى موضع وجود حيواناتهم من الأبقار، والأغنام.

بدأ الرجال قي إعادة بناء البيوت مرة أخرى، وكان من ضمن هؤلاء الرجال رجل يُدعى (العم غريب) رجلٌ لديه أسرته المكونة من زوجته سوسن، وابنه علي، كان رجلًا صالحًا لا يترك فرضًا، كان محبًا لعمله؛ فقد ورث قطعة أرض يأكل من خير ما تنتجه، لكن الحياة لا تعطيك كل شيء؛ فقد كان دائم الشجار مع ابنه الذي كان يبلغ من العمر الواحد والعشرون عامًا.

كان شابًا لا يهتم لشيءٍ سوى نفسه، وكان دائم الأذى لغيره، لا يمر يوم حتى يأتي أحدهم إلى منزله يشكيه إلى والده، ثم يبدأ بعدها الشجار المعتاد بينه وبين والده، لكن تحول هذا إلى أبعد بكثير.

كان كل ليلة يتجمع مع أصدقائه عند مقابر تبعد النصف كيلو من بداية قريته؛ ليشربوا السجائر وما شابه بعيدًا عن الأهل، وقد كانوا أربعة: على، إبراهيم، خليل، وعربي.

كانوا يجلسون عند أول مقبرة من دخول المقابر، وقد جلسوا قرابة الساعة، ثم ذهب كلٌ من إبراهيم، وخليل إلى منازلهم ليتبقى علي، وعربي.

لمح عربي خيالًا من بعيد يدخل المقابر في تلك الساعة من الليل؛ حيث أن الساعة قاربت على الثالثة فجرًا، ارتعش عربي من الخوف؛ فمن يجرؤ على دخول المقابر في تلك الساعة؟

نظر إلى صديقه علي: علي ارمي السيجارة اللي في إيدك دي، أنا شوفت واحد بجلبية مغطي وشه دخل المقابر.

_علي : واحنا مالنا بس يا عربي؟ ما تسيبه يا عم!

_عربي : يا علي فوق بس لا يكون داخل يسرق عمك محمد، ودا راجل كبير في السن!

_علي : تصدق فعلًا ممكن يكون داخل يسرق، وما شاء الله عمك محمد عاملهم على قلبه قد كدا، تعالى نمسكه وممكن عمك محمد يعطف علينا بدل ما كل يوم أتشاكل مع أبويا.

دخل علي وعربي إلى المقابر، كان الخوف يتزايد مع كل خطوة تخطوها أقدامهما أرض المقابر، أخذ عربي يتلفت يمينًا ويسارًا من الخوف، لا يعلم ما المصير الذي ينتظره؟

بينما علي كان يفكر في شيءٍ آخر؛ من الذي يجرؤ على الدخول إلى المقابر في هذا الوقت من الليل؟ من يملك مثل هذا القلب الذي لا يخشى شيئًا؟ كان يقول تلك الكلمات في عقله غيرُ واعٍ أنه داخل المقابر أيضًا مثل ذاك الشخص!

فجأة وقف عربي في مكانه بصدمة ينظر أمامه، بينما واصل علي سيره غير واعٍ بما يحدث حوله، لكنه أحس أن صديقه ليس بجانبه، ليلتفت إلى الخلف، فوجده ينظر أمامه بصدمة، فتحرك إليه، ثم نظر إلى موضع بصره، ليجد أمامه قبرًا مفتوحًا.

أخذ علي يقترب من القبر بخوف، يُحدِّث نفسه :

_من يجرؤ على الدخول إلى هذا القبر؟ من يملك مثل هذا القلب؟

نظر خلفه ليجد عربي يقترب ببطء، جسده يرتعش، لا يعلم ما سيحدث إذا أحس من بداخل القبر بوجودهما خارجه؛ فهو يعلم تمام العلم أن من يدخل المقابر في هذا الوقت يريد فعل شيءٍ ما.

_عربي : أنا مش هدخل يا علي!

_علي : جمد قلبك يا عربي! أنت خايف؟ الرجالة متعرفش الخوف!

_عربي : افهم بس! ممكن يكون معاه حاجة يموتنا بيها.

_علي : يا عم ماتخافش هنمسكه على طول، خليك بس ورايا.

دخل علي إلى المقبرة، وخلفه عربي الذي كان متشبثًا في ذراع علي اليمنى، أخذا ينزلا على أدراج المقبرة المكونة من تسعة أدراج.

اقترب علي من آخر درجة، ليسمع الاثنان أصوات همسٍ من كل مكان، ليرتعد عربي خوفًا، حتى أسرع بترك علي؛ ليهرب إلى الخارج، ولكن الصدمة الكبرى كانت عندما انغلقت المقبرة عليهما، فأخذ عربي يبكي، ولكنه وضع يده سريعًا على فمه يكتم شهقاته.

_اسمع كدا!

سمع الاثنان صوت صراخ فتاة تستغيث، ترك عربي علي، وأخذ يركض بين غرف المقبرة، حيث كانت مكونة من ست غرف، ثلاث في الجهة اليمنى، وثلاث في الجهة اليسرى، ليجد على ضوء النار في آخر غرفة من الجهة اليسرى أبشع مشهد قد يراه في حياته!

وجد رجلًا بجلبابٍ متسخ ممسكًا بسكين، أخذ يسلخ جلد فتاة قد فارقت الحياة للتو، كان رجلًا في أواخر العقد الثالث تقريبًا، رأي علي أمامه جلد الفتاة منسلخًا بطريقة أدهشته، لم يرعبه المشهد، بل أحس باشمئزاز حين رأى هذا الرجل يقطع قطعة لحم من الفتاة؛ ليأكلها!

نظر هذا الرجل بجانبه على أرض الغرفة، ليرى خيالًا يظهر على ضوء النار، فالتفت بسرعة، وقد كانت قطعة اللحم لا تزال على فمه، فوقعت.

رأى علي وجه رجل، نعم، لكن أحس من داخله أن هذا شيطان في جسد إنسان، أحس أن من أمامه الآن الشيطان ينظر إليه، كأنه يقول له :

_لما أتيت إلى هنا الآن؟ من يجرؤ على الدخول إلى هنا في هذا الوقت؟ لما أتيت؟ لقد أفسدت وليمتي!

إلى أن سمعه يتحدث بالفعل بعد تلك النظرات الجحيمية، كان صوتًا أقل ما يُقال عنه أنه أتى من جحيم الأرض، صوتًا لم يدركه، وكأن الشيطان يُحدثه :

_أتُحب أن تشاركني؟

نظر علي إلى الرجل الذي يقف أمامه، وقد تأكد من داخله في تلك اللحظة أن من يقف أمامه الآن هو الشيطان!

لم يجب علي عليه، ولكنه نظر إلى السكين الملقى على الأرض، أمسك به، ثم نظر إلى جثة تلك الفتاة التي لا يعلم لما هي هنا حتى؟ أو لما كان يفعل بها هذا الرجل ما فعله؟ لا يهم، ولكنه قام بسلخ الجلد باحتراف، بل أنه قام بعمله أفضل مما فعل هذا الرجل، إلى أن سمع صوتًا يأتي من خلفه :

_علي أنت بتعمل إيه؟!

نظر علي خلفه ليجد صديقه عربي ينظر إليه بخوف، عاد لينظر أمامه، فوجد نفسه يمسك سكينًا، ويسلخ جسد فتاة، وقد قام بسلخ جزء صغير جدًا من ذراعها الأيسر!

لا يعلم ما حدث؟ أو أين اختفى هذا الرجل الذي كان هنا؟

ابتعد عنه عربي بسرعة بعد هذا المشهد الذي رآه، وأخذ يركض بين غرف المقبرة، صار علي ينادي عليه بصوتٍ عالٍ، ولكن لم ينتظره عربي الذي وجد باب المقبرة قد فُتح، فصعد أدراج المقبرة سريعًا؛ ليخرج خارجها، يبكي، ويدعو الله أن يصل إلى بيته فقط في أسرع وقت!

خرج علي من المقبرة هو الآخر ينظر إلى ملابسه الملوثة بالدماء، كما ينظر إلى السكين في يده، لا يفهم شيئًا :

_أقتلتُ تلك الفتاة؟ من أتى بها إلى هنا؟

سمع همسات في رأسه :

_نعم أنت من قتلها، بل كنت فرحًا بما فعلت!

نظر خلفه إلى المقبرة، ليجد عيونًا حمراء مشتعلة تشع بين سواد المقبرة، نظر إلى السكين للمرة الأخيرة قبل أن يلقيها إلى داخل المقبرة، ويتحرك ليخرج خارجها.

لم يفهم شيئًا مما حدث، ولكن كل ما في عقله الآن :

_ماذا فعلت؟ أحقًا أنا من أحضرت تلك الفتاة؟ أحقًا أنا من قتلها؟ أم أصبحتُ أنا الشيطان؟

خلع الجلباب الذي يرتديه، ثم ألقى به في الترعة، ليدخل إلى منزله، ليجد والده ووالدته غارقان في النوم، نظر إلى ملاءة الفراش التي تُفرش على مكان أكل

الحيوانات؛ حيث تكون موضع نومه، ليجد السكين التي ألقاها داخل المقبرة، ليسمع همسًا من حوله:

_أنتَ حقًا عظيم، أنت أقوى بكثير مما تدَّعي، لا تدع أحد يعرف سرك الصغير، قدِّم الولاء والطاعة، أنا الأب لك، بل أنت الابن الذي أتمناه، اقتل من علم سرك، سأتركُ لك حياةً أخرى، كيف قتلتَ تلك الفتاة ببراعة؟ بل كيف سلخت هذا الجلد؟ يجب أن تفتخر بكل نقطة دم سقطت على جسدك؛ فأنت شيطان!

أمسك علي السكين ، وفتح باب البيت؛ ليقتل..

***

_سمر: احنا وصلنا يا قمر، شكرًا بجد ليكِ على المساعدة دي.

_قمر: حصل ايه بعد كدا؟ أنا عايزة أعرف، أنتِ خوفتيني بجد، بس برضو الكتاب عمل إيه؟

_سمر: أنا مكملتش القصة ليكِ، اللي حصل بعد كدا كارثة بجد، أقولك يا قمر، هاتي رقم تيليفونك؛ عشان أتصل بيكِ في أقرب وقت أجي أزورك.

_قمر: بجد شكرًا ليكِ يا سمر، ورقمي اهو، هستنى اتصالك!

_سمر: أشوفك قريب يا قمر، وشكرًا تاني على التوصيلة.

_قمر: لا شكر على واجب يا حبيبتي، أتصل لكِ على ونش يجيبلك عربيتك؟

_سمر: لا يا حبيبتي شكرًا بجد، أنا هتصل على أخويا يجيبها، يلا سلام.

_قمر: مع السلامة يا سمر.

أخذت قمر تتذكر كل ما مر، وتتذكر كلمات سمر التي لا تعلم ماهيتها، ولا تعلم ما ينتظرها غدًا.

الفصل الرابع

(مفاجأت)

خرج رامي من بيت سمير لا يفهم تلك الحياة التي أدخلته في حياة أخرى غير تلك الحياة التي كان يظن نفسه بها، كان يظن أنه سعيد مع كل من يراهم، هل هم أصدقاء؟

لا، ليسوا كذلك، هل أخي فعل هذا الأمر معي حقًا؟

نسيتُ أمر خالي!

أسرع رامي يركض في كل مكان، لا يعلم كيف يذهب؛ ليلتقي به، كانت زوجة خاله قد اتصلت به؛ لكي يُسرع لخاله قبل أن يحدث كل ما حدث.

وقف رامي على الطريق على أمل أن تمر أي سيارة تقله إلى مدينة طهطا يدعو الله أن يعطي خاله بعض الوقت فقط؛ ليراه قبل أن ينتقل إلى عالم الحياة الأخرى؛ فهناك يرى ماذا فعل في تلك الحياة؟ هل فعل ما يؤهله إلى الذهاب للجنة؟ أم يرحب به الجحيم؟

انتظر قرابة النصف ساعة إلى أن أتت سيارة تقصد طهطا، وما أن دخل السيارة أخذ ينظر إلى يده، ليرى الكلمة تنير بضوءٍ خافت، ضوء مثل لون الدم يشع بشدة.

نظر رامي حوله، ثم وضع يده على تلك الكلمة، لينتفض جسده فجأة من هول ما رآه :

_ازاي دا حصل؟ وقف العربية بسرعة!

توقفت السيارة ليركض رامي، وهو يصرخ بكل قوته، يصرخ من داخله بشدة، لا أحد يعرف لما يصرخ بهذا الشكل؟ ينظرون إليه ببلاهة :

_هل هو مجنون؟ أم يدَّعي الجنون؟

لا، بل أنتم مخطئون، هذا ليس جنونًا، بل ما رآه هو الجنون.

****

جلست الست أمينة تدعو الله أن يغفر لها خطيئتها التي أوصلتها إلى أن تدعُ الله كل ليلة؛ ليغفر لها جزء صغير من هذا الذنب الفاحش.

قامت من جلستها، شعرت ببعضٍ من النعاس، عيناها تنغلق ببطء، أخذت تتمايل إلى أن وصلت إلى غرفتها، فتحت الباب، وتركته مفتوحًا، ثم وضعت كلتا يديها على السرير، لتلقي بكامل جسدها، ثم أغلقت عينيها بعد لحظات، فانغلق الباب بقوة، لتفتح أمينة عينيها بفزع، نظرت أمامها لتصرخ بخوف، رأت رأسًا بلا جسد على الأرض تنظر إليها بابتسامة شيطانية :

_هل تعلمين أني اشتقتُ إليكِ؟

صرخت الست أمينة بقوة، ليسمعها سمير وزوجته، ترك كلٌ منهما ما في يديه، ثم هرولا سريعًا إلى غرفة الست أمينة.

حاول سمير بكل قوته فتح الباب، ولكن لم يستطع فتحه.

نظرت تلك الرأس إلى الأعلى، ليخرج من سقف الغرفة أسياخ من الحديد حادة، نظرت تلك الرأس إلى الأسياخ لتسقط جميعها من سقف الغرفة في لحظة واحدة، لتكتب نهاية لا يتمناها أحد لألد أعدائه.

سمع سمير صوتًا دوى في الأرجاء من داخل الغرفة، لا يزال يحاول فتح الباب، ليرى أسفل قدمه دماءًا، نظر إليها بصدمة قبل أن يسمع صوت تكة الباب وهو يُفتح من تلقاء نفسه، أمسك مقبض الباب بيده التي ترتعش بشدة، ليُصدم مما رأته عيناه!

جزء من سقف الغرفة وقع على والدته، وعشرات من الأسياخ دخلت جسد والدته، عجزت الصرخة أن تخرج من حلق زوجته، بل عجزت حتى العين أن تُخرج الدموع، كان السكوت فقط مسيطرًا الآن.

سقط سمير على ركبتيه ينظر بصدمة وجنون إلى هذا المشهد الذي لم يتخيله بحياته.

سمعت زوجة سمير أصواتًا من خلفها، لتتفاجأ بجميع من حولها من الجيران قد أتوا حين سمعوا صوت الصراخ، بل قد أتوا خلف رامي الذي أتى سريعًا، لا تعلم كيف عاد من جديد؟ أو كيف علم ما حدث؟ فقد غادر منذ قرابة الساعة!

دخل رامي إلى الغرفة سريعًا، ما أن دخل حتى هبطت الدموع من عينيه، فما يراه حقيقة أمامه :

_ماذا يحدث معي يألله؟ أرجوك أخبرني ما يحدث معي! هل هذا حقيقة، أم خيال؟

تلك الكلمات التي حُبست داخل نفس رامي، وقد أخذ يحاول إزالة تلك الأسياخ من جسدها، ولكن الصدمة كانت حليفته حين أحس بأن هناك يد أمسكت بيده بقوة، فنظر أمامه ليرى وجهًا شيطانيًا يصرخ به :

_أنت ستكون سببًا من الأسباب.

بدا الخوف جليًا على وجهه، ثم وقع على الأرض ليسرع إليه أحد من الرجال يحاول مساعدته؛ ليقف.

نظر رامي إلى سمير الذي وقع أرضًا، وقد أسرعت زوجته تحاول مساعدته، ليشعر كأن أحدًا يقترب من أنفاسه، فيكتمها حتى أصبح لا يوجد أي تنفس، حتى شعر كأن ثقلًا يوضع على صدره، فأغلق كلتا عينيه، لتبدأ زوجته بالصراخ.

بكى رامي بشدة، لا يعلم ما الذي يحدث الآن؟ أخذ يبكي على هذا الرجل الذي ساعده، على تلك الأسرة التي ما أن حضر بينهم انتهت.

دخل الجميع يحاول المساعدة في إزالة السقف حتى استطاعوا إخراج جثة الست أمينة، كما حملوا سمير إلى سيارة الإسعاف بجانب والدته، وقد وقف رامي

ينظر إلى سيارة الإسعاف بينما كانت تبتعد، وإلى جواره زوجة سمير تركض خلفها بالصراخ والعويل.

نظر رامي إلى السماء، والدموع تنهمر من عينيه:

_لما يألله كل هذا؟ هل أنا السبب فيما حدث لتلك العائلة؟ لما يألله؟ من يستطيع أن يصبر على هذا الاختبار الصعب؟ تلك المرأة أضعف من أن تتحمل كل هذا يألله، اجعل بداخلها صبر أيوب، هل أنا لعنة حقًا؟

وقف رامي على الطريق ينتظر سيارة توصله إلى طهطا، وما أن حضرت السيارة حتى دخلها، ثم أغلق الباب خلفه تاركًا خلفه ألمًا لن يُمحى.

*****

(أمل)

خرجت أمل من الحمام، وجدت باب غرفة قمر مغلق، وقد سمعت صوت تلك السيدة في الداخل تصيح بكلماتٍ غريبة، نظرت أسفل باب الغرفة، فوجدت الكثير من الأشياء تتطاير وتتحرك، سمعت الكثير من الأصوات المتداخلة، وسمعت صوتًا يتحدث إلى تلك السيدة، ليس صوت قمر، بل صوت آخر يتحدث:

_كانت الحياة بسببه البلاء.

لم تفهم أمل، ولكنها أمسكت مقبض الباب، لتفتحه مرةً واحدةً، لتجد بدوية تحمل الكأس من بين قدمي قمر، لتصيح بها أمل:

_إيه اللي أنتِ بتعمليه في قمر دا؟ أنا سمعتك! أنتِ عملتِ إيه؟

_بدوية : أبدًا يا ست أمل معملتش حاجة والله، أنا كنت ماسكة الكوباية، وافتكرت حاجة أجيبها، فحطيت الكوباية على السرير، وبعد كدا خوفت تقع!

_أمل : أنتِ هتضحكي عليا يا ست أنتِ؟ أنا من أول ما شوفتك وأنا مش مستريحالك!

_بدوية : ليه بس يا ست أمل؟ والله ما عملت حاجة. ثم بدأت في البكاء مرة أخرى.

أمسكت أمل بهاتفها المحمول، ثم اتصلت على والدتها، لتنظر بدوية إليها، قبل أن تمسك بهاتف أمل في اللحظة التي سمعتها تقول :

_الست دي عملت حاجة في قمر يا ماما!

أمسكت بدوية الهاتف بينما تنظر إلى أمل بعيون نارية تشتعل، فابتعدت أمل إلى الخلف بخوف.

وضعت بدوية يدها بداخل وشاحها، لتُخرج شيئًا في يدها، كما صدت ضحكاتها في الأرجاء، قبل أن تنظر إلى أمل التي قاربت أن تتبول من الخوف :

_هتشوفي الويل يا صغيرتي!

نفخت مادة ما على وجه أمل، والتي ما أن استنشقتها حتى بدأت بالسعال، حتى وقعت على الأرض.

شعرت السيدة ريم (والدة أمل) بالقلق حين انقطع الخط فجأة، فوضعت الشال على رقبتها بسرعة، وأسرعت في الذهاب إلى شقة قمر، أخذت تدق الباب بقوة، ولكن لم يفتح أحد، حاولت كثيرًا، ولم يفتح أحد، فتسرب القلق أكثر بداخلها.

استيقظت قمر من النوم، وقد شعرت باختناق، لا تستطيع التنفس، وأخذت تحاول أن تُخرج ما بداخلها، حاولت السعال كثيرًا، ليخرج من داخلها ديدان صغيرة، فصرخت قمر بخضة، حتى وقعت من على السرير، ثم نظرت بجانبها لتجد أمل فاقدةً للوعي على الأرض.

حاولت أن تقف، لتجد قدميها كأن بهما تنميل، فتحاملت ثم اقتربت من أمل، وحاولت إفاقتها، حتى سمعت أحدًا يطرق على الباب، حتى دخلت السيدة ريم بسرعة :

_قمر يا حبيبتي حمد الله على سلامتك، أمل مالها يا قمر؟

_قمر: إيه اللي حصل يا طنط؟ أنا مش عارفة حاجة!

_ريم : أمل! أمل بنتي فوقي يا حبيبتي مين اللي عمل فيكِ كدا؟ أمل فوقي يا حبيبتي، عملتي فيها إيه يا قمر؟

_قمر: معملتش حاجة والله صدقيني أنا صحيت لقيتها واقعة كدا.

_ريم : ازاي يعني يا قمر؟ وفين الست اللي كانت هنا؟

_قمر: ست؟ ست مين؟ هو كان فيه حد هنا؟ إيه اللي حصل؟ أنا مش فاهمة حاجة!

تحركت أمل ليلتفت الاثنان لها سريعًا، وأخذت السيدة ريم تحاول إفاقتها على أمل أن تعرف ماذا حدث؟

ما أن فتحت أمل عينيها، لتحمد السيدة ريم الله :

_حمد الله على سلامتك يا بنتي، إيه اللي حصل؟

_أمل : أنا شوفت الست دي كانت حاطة كاس بين رجلين قمر! حصلك حاجة يا حبيبتي؟ أنا شوفت الست دي بس معرفش هي عملت إيه.

_قمر: لا يا أمل أنا الحمد لله كويسة، أنا مش فاهمة حاجة يا أمل، أنا كل اللي فاكراه إني شوفت دم على السرير فصرخت وبعدين مش فاكرة أي حاجة!

_أمل : ماما الست دي عملت حاجة لقمر، بس هي إيه؟ معرفش!

_ريم : طب قومي يا قمر يا حبيبتي خدي دش، وأنتِ يا أمل جهزي نفسك؛ عشان تروحي الجامعة، لما تيجي نشوف إيه اللي حصل.

اتجهت أمل إلى شقتهم، وأخذت تستعد؛ للذهاب إلى جامعتها؛ فهي الآن في الفرقة الرابعة في كلية الطب بالقاهرة، تمني نفسها بأن تكون طبيبة مشهورة.

بعد ساعة ذهبت إلى والدتها التي كانت نائمة إلى جوار قمر، فألقت عليها التحية، ثم اتجهت إلى الجامعة.

بعد نصف ساعة وصلت أمل ؛ حيث أن موقع البيت ليس ببعيد عن الجامعة، فقط مواصلة واحدة بدون زحام كافية لتصل إلى الجامعة في ربع ساعة أو أقل.

دخلت أمل بسرعة إلى قاعة المحاضرات، لتنصدم مما رأته، أخذت تتلفت يمينًا ويسارًا، وأخذ جسدها يرتعش مما تراه، رأت الجميع بجسدٍ بشري، لكن برأس شيطاني، برأس أشبه ما يكون إلى رأس كلب بنابين من العظام البيضاء، لكن بخدوش، وكسور، رأس أسود به شقوق من المنتصف، يمكنك أن ترى العظام بداخله بعيون سوداء بداخلها نن أحمر، لكن صغير.

أخذت أمل ترتعش، ونظرت بجانبها، فوجدت رأس صديقتها تنظر إليها بنفس تلك الهيئة، فابتعدت إلى الخلف بصدمة، حتى وضعت صديقتها يدها على جسد أمل، لتنصعق أمل حين رأت يد صديقتها مليئة بالشعر الأسود الغزير، وأصابع يدها عظام، قبل أن تلمس يد أمل، فأخرجت أمل صرخة، ليلتفت إليها كل من في قاعة المحاضرات!

التفت إليها الجميع بنفس تلك الهيئة التي تراهم بها، لتنظر إليهم، وقد أصبح جسدها عاجزًا عن الحركة، بل أصبح عقلها عاجزًا عن معرفة ما إن كان ما يحدث وهمًا، أم حقيقة؟ هل هذا ما يُطلق عليه وهم العين؟

اقترب الدكتور من أمل يتحرك إليها ببطء، أخذت أمل تنظر إلى الجميع برعب قبل أن يقترب منها دكتور القسم، هربت أمل تصرخ عاليًا إلى الخارج، وما أن خرجت من قاعة المحاضرات حتى صُعقت مما رأته في الخارج، المعنى الحقيقي للموت، رأت جميع من في الجامعة بأشكال شيطانية لا تُوصف، من يمتلك وجه خفاش، ومن يمتلك وجه سحلية، فأخذت أمل تتنفس بصعوبة، بل ارتعش كامل جسدها في تلك اللحظة، لا تعلم ما يحدث حولها، حتى سمعت صوتًا خلفها :

_أمل أنتِ كويسة؟

التفتت أمل إلى مصدر الصوت، لترى أمل وجه سلعوة في وجهها، لتركض سريعًا إلى خارج الجامعة بأكملها، فسمعت صوت كلاكس سيارة، فنظرت بجانبها لترى وجه تمساح على جسد بشري يقود السيارة، لتصطدم بها قبل أن تسقط على الأرض.

*****

(رامي)

جلس رامي ينظر إلى وجوه الأشخاص بجانبه كأنه يريد أن يتأكد ما إن كانت تلك الوجوه حقيقية، أم أنهم يدَّعونها، هل حقًا يا سيدتي تلك الابتسامة لا تفارق هذا الوجه، أم أنها مجرد ابتسامة مؤقتة؟

سمع رامي أثناء شروده كلمة (طهطا) ليخبر السائق أن ينتظر؛ فتلك هي وجهته، ووقف يعتذر إلى من بجانبه؛ ليمر ويستطيع النزول، فمر بجانب سيدة تجلس في المقعد الثالث من الخلف، حيث كان يجلس في آخر مقعد من السيارة، وما أن مر بجانب تلك السيدة أحس بألم موضع تلك الكلمة؛ فمر سريعًا؛ لكي ينزل قبل أن يلفت الأنظار إليه.

التفت رامي حين نزل من السيارة، ليجد تلك الابتسامة الشيطانية مرة أخرى تنظر إليه، وقد اشتد احمرار عينيها، ليجد رامي الكلمة تشع في يده : **تذكر**..

فجأة أمسكت يد شخص بيد رامي، وأخذ يسحبه من يده دون حديث، ليتعجب رامي من الأمر، ونظر إلى هذا الرجل ببلاهة قبل أن يقف في مكانه، وكذلك وقف هذا الرجل :

_أنت مين، وبتشدني ليه؟

_الرجل : خالك بيموت، أنت اتأخرت ليه كدا؟ تعالى معايا بسرعة؛ دا مستنيك من زمان، الحمد لله يا رب، الحمد لله أنك زودت في عمره لليوم دا.

أحس رامي بشعور غريب داخله؛ فقد أحس أن أمر الدعوة أكبر من مجرد دعوة، بل هناك ما لا يعلمه أحد، أسرع رامي بخُطاه خلف الرجل الذي لا يزال يرفع يده إلى السماء يستمر في دعاء الله.

اقترب رامي، وهذا الرجل الذي لا يعلم من هو حتى الآن من البيت، ليقف أمامه، فنظر إليه رامي بابتسامة فرح، أحس بعمرٍ مر، يتذكر وقتما كان صغيرًا يلهو هنا وهناك مع أبناء خاله، أحس أخيرًا أن الحياة تعطينا فرصة واحدة لا بد وأن نستغلها :

_لو أنني أعلم معنى كل دقيقة قضيتها في طفولتي، لن أتمنى أن يمر عمري!

صاح به الرجل أن يسرع؛ فلم يعد هناك متسعًا من الوقت، ركض رامي خلف الرجل الذي فتح غرفة أخرى، والتي ما أن دخلها رامي ارتعش جسده؛ فقد رأى خاله نائمًا على السرير، وعلى يده جملة:

_كيف ترفض الموت؟

نظر الخال معوض إلى رامي، ورفع يده له؛ لكي يأتي، فركض رامي إليه سريعًا، ليمسك الخال معوض يده ليرى كلمة (تذكر).

نظر الخال معوض إلى رامي، وأخذ يبكي، فحاول رامي تهدئته، ليرفع الخال معوض يده إلى من في الغرفة؛ ليخرج الجميع.

وضع الخال معوض يده على الكلمة ليفزع جسده حين رأى ما حدث في طريق رامي لقدومه إلى هنا، حتى وصل إلى جثة الست أمينة بتلك الموتة البشعة في ذاكرته.

_أخذ يبكي بحرقة ويردد : أمينة ماتت! أمينة ماتت!

_رامي : اهدى يا خالي وفهمني، اهدى بس! حصل إيه؟ فهمني! وإيه الكلمة اللي بتظهر وبتختفي دي؟ أنا شوفت الموت يا خالي والله!

_الخال معوض : معلش يا بني غصب عني والله، معرفش إن كل دا هيحصل، وإن العيلة كلها هتدخل في الطار دا.

_رامي : طار؟ الست أمينة قالت كدا برضو! حصل إيه يا خالي فهمني!

_الخال معوض : في يوم يا بني في أوائل التسعينيات كنت راجع من الشغل، وكنت خدت إجازة، كنت شغال عند واحد من الكبار جنايني، وعرفت آخد إجازة أسبوع، حمدت ربنا؛ لأني كنت شغال بقالي تلت شهور من غير يوم واحد إجازة، ومرات خالك (رحمة) خلفت (مسعد) ابني، ركبت العربية، وكنا بنلم الأجرة من بعض، فجأة بحط إيدي في جيبي مش لاقي الفلوس، فالسواق نزلني في الطريق، وماكنتش عارف أعمل إيه؟

أربع ساعات بتحرك، ومفيش عربية بتعدي، الليل دخل وأنا واقف مكاني، حسيت برعشة في جسمي، وشوفت نار يا بني بتولع وبتاكل في نفسها في مكان بعيد عني، شوفت واحدة ست بتجري، فجريت عليها، شوفت الويل!

_رامي : أكيد شوفت رأس ست مدبوحة بتتكلم!

التفت الخال معوض إلى رامي بملامح اندهاش، كأن السؤال المطروح الآن:

_كيف علمت؟

ليكمل الخال معوض حديثه:

_أيوا يا بني، بس مش دي المشكلة، أنا قربت من الحريق وجريت على الست اللي بتزحف على الأرض أول ما شافتني مسكت فيا كأني نزلت لها من السماء، اتفزعت لما شوفت قدامي بنت شابة ماسكة في إيدها رأس ست كبيرة، أنا وقتها فكرت إنها دبحت الست دي، وكنت هتشل يا بني لما سمعت صوت جاي من الرأس دي وهي بتقوللي:

_ابعد!

حسيت إني هموت بس كان ربنا واقف معايا طول الوقت، بدأت أقرأ سور من القرآن بصوت عالي، وأنا عارف إني بواجه شيطان مش إنسان، فحمدت ربنا إن في مصحف في الشنطة اللي معايا، وبدأت أقرأ سور منه بصوت عالي، فلقيت البنت دي صرخت، واتحولت لقطة سودا! أعوذ بالله!

لقيت الست اللي ماسكة فيا جريت، فمسكت رأس الست المدبوحة دي ورميتها في النار، لقيت القطة السودا دي جريت وراها للنار، وأنا مسكت إيد

الست دي جرينا لغاية ما طلعنا على الطريق وربنا كرمنا لقينا عربية عدت ووقفت فركبنا فيها.

_رامي : يعني أنت كنت سبب في كل اللي بيحصللي دلوقت يا خالي؟

_الخال معوض : يا بني أنا كل اللي عملته كان خير!

_رامي : ليه يحصل كل دا في الوقت دا بالذات؟

_الخال معوض : الشيطانة دي كبرت يا رامي، أنا شوفت أيام سواد! أنا كل يوم عايش في رعب لدرجة إني من الخوف قربت أموت، جبت كل شيوخ طهطا يا رامي، أنت هتتعامل مع شيطان!

بعد تلك الكلمة انقطع التيار الكهربائي من المنزل، فسمع رامي خاله معوض يصرخ:مستحييل!

فُتح الباب سريعًا ليدخل ذاك الرجل الذي اصطحب رامي إلى البيت، وبيده مصباحٌ يدوي، وخلفه العديد من الأقارب، والذي ما أن أضاء المصباح حتى ظهر جسد الخال معوض على السرير، وقد كان صدره مشقوقًا، وجميع أمعائه خارج جسده.

صرخ الجميع بصدمة، وقد أخرج الرجال النساء إلى الخارج، وقد وقف رامي ينظر إلى خاله بصدمة، لا يعرف كيف يكون الموت بعد هذا المشهد؟

نعم رأى الكثير، لكن ما حدث ليس له جواب، نظر إلى جثة خاله ليجد جملة:

_كيف ترفض الموت؟

لا يعرف ما معناها، وأي لغزٍ وقع فيه؟

أحس رامي بألم في يده، ليرى رقم (٢) يضئ في يده، فنظر إليه باستغرب، ترى ماذا سيحدث؟

ترك رامي الجميع، وخرج يركض وهو يعلم أن الموت بدأ ينهش في عائلته، ولن يتوقف ثأر الشيطان عند هذا الحد، بل سيأكل كل من له صلة بخاله معوض، ترى من سيموت الآن؟ أنا، أم زوجتي، أم والدتي؟

الفصل الخامس

(سمر)

ثلاث دقات على الباب كانت كافية لتركض قمر سريعًا تفتح الباب لضيفتها العزيزة سمر التي تركتها منذ شهر تقريبًا، ولم تكمل لها القصة، ورغم تلك المدة لم تستطع قمر أن تبقى هادئة، وأخذت تبحث كثيرًا على شبكة الإنترنت، ولكنها لم تجد شيئًا عن القصة، ورغم محاولات الإتصال الفاشلة بينها وبين سمر، لكن في النهاية أتى الرد.

_قمر: كدا يا سمر والله زعلت منك!

_سمر : غصب عني يا قمر، جوزي كان بيعمل عملية في المستشفى وكنت جنبه.

_قمر : آسفة يا سمر، كنتِ عرفيني أكون جنبك.

_سمر : لا يا قمر أنتِ برضو ليكِ حياتك.

_قمر : ولا يهمك، المهم أنا ملقيتش على الإنترنت أي شيء عن القصة يا سمر، أنتِ متأكدة إنها حقيقية؟

_سمر : أنا بحكيلك قصة حصلت قبل وجود الإنترنت يا قمر، قصة عرفتها بالصدفة من أبناء أبناء اللي عاصروا الواقعة دي، أكيد مفيش شخص فكر يكتب القصة دي وينشرها في الوقت الحالي.

_قمر: ليه مفكرتيش أنتِ تنشريها يا سمر؟

_سمر : صدقيني معرفش، أنا مش من هواة الإنترنت قوي، بحب أحكي لشخص نتشارك كدا، مبحبش فكرة التواصل الإلكتروني، بحس إن الإنترنت قتل فكرة التواصل الشخصي بين الناس.

_قمر : فعلًا يا سمر، فكرة الإنترنت رغم كل المنافع اللي الشخص بيستفيد منها قتلت حاجات كتير فينا، بقولك إيه أنا هروح أجيب العصير، وأعمل تيليفوني وضع الطيران؛ عشان رامي خطيبي ميتصلش عليا، وأجيلك جري.

نظر علي إلى السكين في يده بابتسامة شيطانية، يكاد الشيطان أن يخبره :

_نعم، أنت ولدي، نعم، لست من جنسي، لكنك تفوقت على أبناء جنسي، ماذا تفعل بحق الجحيم؟

تحرك علي إلى بيت عربي، ونظر إلى البيت، ليرى أن هناك ضوء نار صغير داخل البيت، وهي لمبة الجاز التي كانت منتشرة في ذاك الوقت، اقترب بحذر من البيت ليسمع صوت عربي يخبر والده بما حدث :

_كنا قاعدين أنا، وإبراهيم، وخليل، وعلي في أول المقابر، وعلي سلّم علينا ومشي، وبعدين إبراهيم مشي، وبعدين شوفت أنا وخليل علي داخل المقابر، قولت لخليل :

_تعالى نشوف المجنون دا داخل يعمل إيه!

وأول ما قربنا من مقبرة مفتوحة خليل خاف وجري، دخلت أنا لقيته بيسلخ جلد جثة جوا، وبعدين شافني، فجريت بسرعة على هنا.

اندهش علي مما سمعه، وأخذ يحدّث نفسه :

_كيف؟ أنا من كنتُ معك! كيف تقول ما قلته؟

لتعود تلك الوسوسة مرة أخرى :

_كاذب!

ليضرب الباب بقدمه بقوة، ليتفاجأ والد عربي من علي الطفل الصغير الذي كان يجلس معه ولده يداعبه معه منذ الصغر، هو نفس الطفل الذي مرت السنوات عليه ليقف الآن أمامه يحمل سكينًا؛ ليقتل!

لا يعلم من سيقتل؟

اندفع عربي إليه ليتفاجأ بحركة صغيرة من علي، ليجد السكين قد استقرت في منتصف رقبته... نظر والد عربي إلى ابنه جثة أمامه الآن بصدمة مما يراه، وجد علي يقترب منه:

_احنا لازم نموت، لازم كل بني آدم جبان يموت؛ عشان اللي يعيش يكون المتحكم!

_والد عربي بقهرة : أنت أكيد شيطان! أنت شيطان!

_علي : الشيطان ليه آيات، وأنا هكون آية من آياته.

أمسك علي رقبة والد عربي، ثم أمسك السكين بحقد ليمررها على رقبته، لتنفجر الدماء خارجةً من رقبته، أخذ والد عربي يضرب الأرض، وعلي يكتم فمه، استمر هذا الوضع لقرابة الثلاث دقائق، ثم هدأ بعدها ليلحق بابنه.

سمع علي أصوات همسٍ في أذنه اليسرى :

_من قال أنك لستَ آية؟

خرج علي إلى الخارج؛ ليحضر عربة صغيرة مثل التي تُباع عليها الفواكه، والخضروات، وضع عليها جثة عربي ووالده، ثم ذهب بهم إلى المقابر.

حين ذهب إلى المقابر وجد قبرًا مفتوحًا، فحمل جثة عربي؛ ليدخل بها إلى القبر، فسمع صوت وسوسة يخبره:

_ألقِ بالجثة الأخرى داخله.

فحمل جثة والد عربي ليلقي بها داخل القبر، وما أن ألقاها حتى أُغلِق القلر بسرعة خلفه، ليسمع صوتًا يقول :- لا تسأل.

نظر علي إلى يساره ليجد قبرًا آخر مفتوحًا، أو فُتح منذ قليل، ليحمل جثة عربي، ثم دخل بها إلى داخل القبر، ليجد القبر قد انغلق عليه، وثدى الصوت مجددًا : - أنت تعلم ما يجب عليك فعله.

رأى علي نارًا في الغرفة الأخيرة، فاستمر في حمل جثة عربي ليدخل به إليها، وما أن دخل حتى وجد سكينًا أخرى في انتظاره على أرض المقبرة، لينظر إلى السكين بسعادة لا تُوصف، فألقى بجثة عربي أرضًا قبل أن يمسك بالسكين، وأخذ يسلخ جلده باحتراف، ولا أحد يعلم كيف له بأن يكون بتلك البراعة في السلخ؟!

أخذ الوقت يمر إلى أن انتهت التحفة التي بين يدي علي، والذي ما أن انتهى حمل جلد عربي بيده، ليتركه لحمًا ملتصقًا بالعظام، وهنا بالفعل تصدق مقولة :

_أنت شيطان!

خرج علي ممسكًا بجلد عربي يجره على الأرض، ليجد أمامه كتابًا بعنوان (حارثك)، فسمع صوت الوسوسة مرة أخرى :

_اترك قربانك، وخُذ هديتك!

ترك علي الجلد من يده، ثم حمل الكتاب، ليجد القبر قد فُتِح أمامه، فخرج منه، ثم نظر خلفه ليجد تلك العيون السود تنظر إليه، فابتسم علي، ثم ذهب إلى البيت، ليرى تجمع الناس، وأصوات الصراخ تعلو هنا وهناك، فألقى بجسده في أقرب تُرعة؛ ليخفي أثر الدماء، ثم انطلق إلى البيت؛ ليرى ما في داخل الكتاب!

***

سمعت قمر صوت الباب يُفتح لتتفاجأ بوالدتها، لتركض بسعادة تسلم عليها، فنظرت سمر بغضب إلى والدة قمر، وقامت بسرعة تتحجج بشيء ما، ثم أخبرت قمر أنها في عجلةٍ من أمرها، ولا بد أن تمر عليها في وقتٍ لاحق.

لم تفهم قمر ما حدث، وأخذت تحاول إيقافها، لكنها لم تستطع، ولا تعرف لمَ أسرعت هكذا في الذهاب؟

_والدة قمر (عزيزة) : قمر يا بنتي قلبي اتقبض أول ما دخلت هنا، أنتِ مش مشغلة القرآن ليه؟

_قمر: لا والله يا ماما، كنت مشغلاه، معرفش اتطفى ليه، ثانية هشغله.

_الست عزيزة : قمر مين البنت اللي كنتِ قاعدة معاها دي؟

_قمر: دي صاحبتي يا ماما، اتعرفت عليها من شهر تقريبًا، ليه؟

_الست عزيزة : حاسة يا بنتي باحساس وحش، يا رب الحلم اللي حلمته ليكِ يبقى غلط يا رب!

_قمر:حلم؟ حلم إيه يا ماما؟

_الست عزيزة : قمر يا بنتي! قربي من ربنا! صلي يا قمر!

_قمر: ماشي يا ماما هبقى أصلي.

_الست عزيزة : يا بنتي والله عارفة إنك مش صغيرة؛ عشان أنصحك، بس والله خايفة عليكِ، حاسة إنك داخلة طريق غلط، حاسة إن في مصيبة هتحصل والله يا بنتي!

_قمر: ماشي يا ماما، فيه حاجة تانية؟

_الست عزيزة : لا يا بنتي أنا ماشية، عايزة حاجة أجيبهالك؟

_قمر: شكرًا يا ماما.

_الست عزيزة : برضو مش عايزة تيجي البيت؟

_قمر: أنا قولتلك يا ماما طول ما جوزك دا هناك عمري ما أجيلك البيت، الحمد لله أبويا قبل ما يموت كتبلي الشقة دي وسابلي فلوس.

_الست عزيزة : ماشي يا بنتي، الله يرحمه.

*****

(الست عزيزة)

(هل هذا ما سيحدث؟)

أتى الليل سريعًا كأنه يخبر الست عزيزة :

_أتى موعد إخبارك بسرٍ صغير، فقط تحملي قليلًا؛ فربما تنقذين ما تستطيعين إنقاذه!

أسرعت إلى الفراش، لن تنتظر محمد زوجها؛ لتحضر له العشاء، ووضعت رأسها على الوسادة لتغرق فيما كان ينتظرها.

رأت الست عزيزة نفسها نائمة بين الرمال التي كانت تغطي كامل جسدها كأنها دُفنت للتو، فقامت فزعة تزيل الرمال من على جسدها، لا تستطيع تنظيم أنفاسها، لترى ضوءًا يأتي من بعيد، فالتفتت إلى مصدر الضوء، لترى بيتًا صغيرًا من القش أمامها، أخذت تحرك قدميها ببطء :

_أنا فين؟ ازاي جيت هنا؟ أنا في حلم؟ وإلا أنا هنا فعلًا؟ بس ازاي؟

سمعت صرخة صغيرة لتتجمد العروق بداخلها :

_دا صوت بنتي!!

أخذت الست عزيزة تحاول النداء بصوتها، ولكن لا يخرج لها صوت، فظلت تلتفت إلى كل مكان بحيرة، لتسمع الصرخة مرة أخرى من بيت القش أمامها، فأسرعت إلى الداخل، لترى أبشع منظر قد يراه إنسان.

وجدت أمام عينيها ابنتها قمر تركع إلى مسخٍ بشع، فلم تتحمل أن تنظر إليه، لتهرب سريعًا من المكان، خرجت لترى المئات، بل الآلاف من تلك المسوخ أمام عينيها، فأخذت تبكي، بينما وضعت كلتا يديها على عينيها، لتجد ابنتها قمر تنظر إليها:

_هو أيضًا إله.

صرخت الست عزيزة لتستيقظ من هذا الكابوس وأخيرًا ليصل إلى مسامعها آذان الفجر، فأخذت تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، وقامت من موضعها لتشغل الراديو على محطة القرآن الكريم، ثم شرعت في صلاة الفجر، وأخذت تدعو لابنتها قمر، ثم عزمت على الذهاب إليها في الصباح.

*****

(أمل)

تركت السيدة ريم قمر، ثم صعدت إلى شقتها، لتسمع صوت الهاتف يرن، فأسرعت بإمساكه، لترى اتصالًا من رقمٍ مجهول.

_المتصل : حضرتك والدة الطالبة أمل نور الدين؟

_السيدة ريم : أيوا حضرتك أنا.

_المتصل : لو سمحتِ تمالكِ أعصابك، ممكن تيجي لمستشفى الجامعة؟

_السيدة ريم : ليه؟ بنتي حصل لها حاجة؟

_المتصل : اهدي بس حضرتك هي عملت حادثة بسيطة.

صرخت ريم، ثم ألقت بالهاتف أرضًا لتركض إلى قمر، أخذت ترن جرس الباب لتفتح قمر بفزع حين رأتها منهارة في البكاء.

_قمر: في إيه يا أبلة ريم مالك؟

_السيدة ريم : البسي بسرعة يا قمر، بنتي عملت حادثة!

ضربت قمر على وجهها، قبل أن تسرع للداخل؛ لتحضر عباءة، ليذهبا الاثنتان إلى مستشفى الجامعة بعدما استقلَّا أقرب تاكسي.

لم يمر الكثير من الوقت حتى ظهرت قمر، والسيدة ريم من خلفها تركضان إلى قسم الاستعلام، لتخبرهما من هناك بأن الطالبة التي تعرضت للحادث موجودة في غرفة رقم (٣).

أسرعتا إلى تلك الغرفة، وفتحت قمر الباب، وما إن دخلن حتى شرعت السيدة ريم في البكاء من منظر ابنتها التي كُسرت قدمها، وتضررت أجزاء من رأسها، فاقتربت من ابنتها وهي تبكي، حتى أمسكت بيدها، فوجدتها ترمش بعينيها، وتحاول فتحها، والتي ما أن فتحتها حتى صرخت صرخة هزت جميع من بالمستشفى.

حاول أحد الأطباء أن يقترب منها؛ لتهدئتها، ولكن أمل أبعدته بقوة، وهي تصرخ

_ابعدوا عني أنتم مسوخ!

حاولت ريم أيضًا مساعدة الطبيب في تهدئتها، ولكن أمل رأت مشرطًا جراحيًا، لتمسك به قبل أن تجرح الطبيب في يده :

_ابعدوا عني، أنتوا ازاي كدا؟ انتوا عايزين مني إيه؟

_السيدة ريم : أمل! أنا ماما يا حبيبتي، مالك فيكِ إيه؟

_أمل : لا أنتِ شيطان، ابعدوا عني!

_قمر: يا أمل يا حبيبتي احنا عايزين نساعدك، ابعدي البتاع دا.

نظرت أمل إلى قمر بصورة المسخ في وجهها، ثم نظرت إلى المشرط في يدها، لتذبح نفسها أمامهم في رؤية تكاد أن تكون مستحيلة لدى البشر!

صرخت السيدة ريم، وصارت تصرخ في الأطباء ان يفعلوا أي شيء، وبالفعل حاول الأطباء، لكن كانت الصدمة على وجوههم أقوى صدمة، لتكتب نهاية جديدة.

***

(رامي)

أخذ رامي يركض بين الناس في الخارج، ترك خاله على الفراش جثة مشقوقة الصدر، لا يعلم أحد ماذا حدث له، بل لا يعلم أحد أي قوة فعلت هذا؟

إنه لأمرٌ خارق ليس بفعل بشري!

أخذ يركض، وينظر في وجوه الناس بخوف، بل بضعف، وقد أخذت الدموع تتحرر من عينيه، بل أصبح قلبه مختفيًا الآن، جلَّ ما يفعله هو ضخ الدماء ليس إلا، حتى أنه صار لا يشعر بالدماء في جسده، أصبح مهشمًا من الداخل، لا يعلم ماذا سيحدث؟ تُرى من سيموت؟

أنا؟ نعم أنا؛ فتلك الكلمة ظهرت على يد تلك السيدة، لا لا، بل زوجتي قمر، نعم قد تموت؛ فهو يريد أن يشعرني بألم في موت من هم حولي، أو يقترب مني، أو أخي مراد، نعم أعتقد أنه سيقتله؛ فقد جعلني أرى زوجتي في أحضانه!

وقف رامي عند تلك الذكرى! هل حقًا كانت زوجتي في أحضان أخي؟ لا لا هذا لم يحدث بالتأكيد، هذا حقًا شيطان، أنت كاذب! بالتأكيد لم يحدث هذا!

أحس رامي بألم في يده اليسرى قبل أن تظهر تلك الكلمة : **" تذكر"**

لكن ظهر بجانبها رقم (٣)، ففزع رامي، وشعر أن ضربات قلبه تتسارع بجنون، ليضع يده على موضع قلبه قبل أن يركض بلا توقف يُحدِّث نفسه:

_يألله! يألله لمَ يحدث لي كل هذا؟

أخذ يركض حتى وصل إلى محطة القطار، وقد صار يركض بين الناس مثل المخبول إلى أن قفز بداخل القطار.

جلس رامي بجانب سيدة مسنة، وقد نظر أرضًا، يعلم أن الطريق طويل، أخذ يتذكر، لكن أي ذكرى ستأتي الآن؟ ومن يتذكر؟ هل يتذكر زوجته قمر؟ ماذا فعلتِ يا قمر؛ لأراكِ هكذا مع أخي؟

سقطت دمعة من عينيه، لتلحقها باقي دموعه، فنظر بجانبه، ليُصدم مما رأى، حتى الصدمة ترى نفسها قليلة في هذا الوقت!

وجد رامي تلك السيدة هيكلًا عظميًا كاملًا بجانبه كأنها خرجت من مقبرتها للتو بعد أن أكلت الديدان لحمها، ثم حررت هيكلها.

اتسعت كلتا عينيه بصدمة قبل أن يبتعد قليلًا ليرى الكمسري يناديه، ففزع رامي من منظره؛ فقد رآه ملابسًا فقط على عظام!

وضعت تلك السيدة يدها على وجهه، لينظر إلى وجهها، فخرجت منه صرخة صغيرة، ليجد كامل القطار ينظرون إليه بوجوه من عظام، لتخرج صرخة أكبر قبل أن يفيق من كابوسه المفزع.

نظرت إليه (السيدة روح)، ثم وضعت يدها على وجهه، ليرتعش جسده، وهو يتساءل ما إن كان يجب عليه النظر إليها، أم لا؟

_السيدة روح : ما تخافش يا بني، ولف وشك.

نظر رامي إليها ليجدها بوجهٍ بشري أمامه، فأخرجت منديلًا، ثم أعطته إليه حين وجدت أن العرق ملأ وجهه وجسده.

_السيدة روح : اسمك رامي مش كدا؟

_نظر إليها رامي بتعجب، ولسان حاله يقول : كيف علمتِ باسمي؟

_رامي : حضرتك عرفتِ ازاي؟

_السيدة روح : أنا يا بني شبه معالجة روحية بساعد الشيخ صافي في معالجة الناس من السحر، أنت جواك حاجة غريبة، حاجة صعبة يا بني، أنا حاسة بيك.

نظر رامي إليها، وصار يُحدِّث نفسه، ويُكذِّب ما يسمعه:لا، هذا مستحيل! هذا أمرٌ آخر من ألاعيب الشيطان، لا يوجد شيء اسمه سحر مطلقًا.

وضعت السيدة روح يدها على يد رامي:اهدى أنا مش هتكلم معاك خالص.

ثم أخرجت هاتفه من جيبه، لتسجل رقم هاتفها، قبل أن تعطيه إياه مجددًا، لتغادر القطار في أول محطة.

الفصل السادس

(بدوية)

نعم، أنا الخادمة المطيعة، أنا الدُمية التي يتحكم بها إله على الأرض، سوف أتم ما فعلته لك، مائة قربان؛ لتمنحني الخلود، مائة قربان؛ لأظل على قيد الحياة حتى نهاية الكون، نعم أعشق طعم عدم الموت، لمَ كنتِ أضعف يا أمي؟

_نظرت لها رأس الست حية : لا لستُ ضعيفة يا بدوية، كل ما يحدث كان؛ لأجلك، هذا أمر من سيدي.

_بدوية : كيف يموت جسدك، وتكونين هكذا؟

_الست حية : يا ابنتي هناك خططًا مستقبلية، يجب أن تفهمي أن هناك غاية من كل ما يحدث، وأنا هكذا لسببٍ يعلمه هو.

التفتت بدوية إلى باب بيت القش:هذا المكان سيكون له شأنٌ عظيم مستقبلًا يا أمي.

_الست حية : مائة قربان يا بدوية يجب أن يكونوا على أتم الإستعداد؛ ليقفوا أمام رب الأرض إبليس.

التفتت بدوية إلى رأس والدتها حية : كيف أقنعتِ مائة شخص يا أمي؟

_الست حية : سأروي لكِ من البداية..

لم يتبقَّ يا صغيرتي على زواجي سوى يوم، كنتُ أشبه بطفلة صغيرة، ولكن تمنى والدي أن يأتي هذا اليوم منذ فترة طويلة؛ فقط حتى أغادر من أمام عينيه، لا أعلم لمَا تزوجتُ والدك، وقد كان يكبرني بخمسة عشر عامًا، كان قد قارب على الأربعين من عمره، ولم ترغب الإناث به، فكنتُ أنا خيارًا سهلًا أمامه، هو لم يتزوجني، بل دفع ثمنًا لوالدي، حتى أنهم لم يقيموا لي عُرسًا، أو أي شيء، فقط جاء بمأذون ليعقد قراننا مع والدي، حتى أني لم أره إلا عندما أتى بي والدي إلى بيته، لآخذ نصيبي من الصدمة حينما وجدتُ نصف وجهه مشوهًا، حتى الصرخة لم تخرج من فمي، كان الأمر مرعبًا حقًا، كنتُ كل ليلة أتمنى ألا يقترب مني، كنتُ قد قاربتُ على الجنون بشدة.

وفي يوم شعرتُ بألم حاد بداخلي، فطلب من عمتك (شربات)..

_بدوية : لم تخبريني أن لي عمة يا أمي!

_الست حية : يا ابنتي لا تقاطعيني!

طلب منها أن تأخذني إلى الحكيم؛ ليخبرني ما بي؟ لأتفاجأ به يخبرني بأن بداخلي طفلة، فرأيتُ وجه شربات يبتسم ابتسامة خبيثة، لم أعلم ماهيتها، لكنها أسرعت إلى الخارج وتركتني لتذهب إلى والدك؛ لتخبره بالأمر، لكن كان قلبي يخبرني أن في الأمر سر لا أحد يعلمه، فأسرعتُ لألحق بها إلى البيت؛ لأرى وأسمع ما لم أستطع تصديقه، رأيتُ كتابًا هو الرعب بحد ذاته، كتابًا لا أدري ما إن كان كنزًا أو كابوسًا؟

(يحقق أمنيات بأحد الشياطين، يأخذ قربانًا من الدم أو الدين)

_بدوية : من الدم أو الدين؟

_الست حية : كما فعلتِ أنتِ يا ابنتي، نحن نسلب أرواحًا لكِ الآن؛ لتبقي خالدة، أفهمتي؟

أما عن الدين، فهو قد يجعلك تأمرين أناسًا أن يدخلوا في عهد إبليس، أو قد يأمرك بفعل الاثنين.

سمعتُ والدك يقول لعمتك :

_وقتٌ قليل، ثم يظهر قرباني.

ارتعبتُ من تلك الكلمات، ثم ابتعدتُ قليلًا، وقد فكرتُ في الهرب، لكن كان حظي تعيسًا؛ فقد فتحت عمتك الباب لتظهر أمامي بلا كلام، ثم أمسكت برأسي لتلقي بي أمام والدك، حاولتُ الصراخ، ليضع والدك يده على فمي، ثم اقترب بنصف وجهه المشوه أمام عيني :

_أتظنين أني تزوجتُ منك لماذا؟ فقط؛ لأنه أمرني بكِ أنتِ.

سمعتُ تلك الكلمات، وتوقف عقلي عن التفكير، وكل ما دار في عقلي هو أمرك بعدها.

حُبستُ قرابة التسعة أشهر في غرفة أسفل البيت، غرفة مغلقة من كل مكان سوى من باب في منتصف السقف، كان والدك يلقي الطعام من الأعلى، ليس لي، فقط لكِ أنتِ، أحسستُ حينها أن الله ليس عادلًا، وكل شيء قرأت عنه في المصاحف رأيته خاطئًا في هذا الوقت، كيف يكون هذا عدلًا؟ لمَ أنا هنا؟ أيكون هذا هو العدل في نظر الله؟ أحسستُ أنني في طريق المرتدين عن الإسلام، وأخذ عقلي يُحدِّثني، أو للأحق لم يكن عقلي، ربما شيطاني!

لم أفكر مسبقًا في هذا الأمر، لما الصلاة؟ لما الصوم؟ رأيتُ أن كل هذا ما هو إلا قيود لنا يجب التخلص منها، أحسستُ بقوة بداخلي في ذاك الوقت، لم أعد أرغب في أي شيء يقربني من هذا الدين، بعد كل هذا أحسستُ بألم لا يُحتمل في داخلي، لم أكن أعلم أني قاربتُ من موعدي؛ لإخراجك إلى هذا العالم، أخذت أصرخ على كل من بالبيت قبل أن أقع على أرضية الغرفة، وقد سمعتُ صوت باب السقف يُفتَح.

وحين استيقظتُ رأيتُ والدك ينظر إلى الحكيم بنظرة خبيثة، وهو يحملك بين يديه، لأجد امرأتين بلباسٍ أبيض يقيدونني، ثم رأيتُ الحكيم يعطيني مادة مخدرة، لأجد نفسي أرغب بالنوم ليس إلا.

استيقظتُ بعدها لا أعلم إن كان في نفس اليوم، أم بعد يوم، أم بعد أسبوع، لا يهم!

حين استيقظتُ وجدتُ أنني في مشفى للمجانين، أخذتُ في الصراخ؛ لأخرج، لكن كان والدك قد دفع الكثير من المال؛ لكي أبقى في ذاك المكان حتى أموت.

كان أكثر ما يرعبني هو ما سيفعله بكِ، كان كل همي في ذاك الوقت أن أفعل أي شيء؛ فقط لأكون حرة، وأخرج من هناك بأي ثمنٍ يُدفع، أتعلمين؟ لم أبكِ للحظةٍ واحدة، وبعد كل هذا التفكير، شعرتُ بشيء داخلي يدفعني أن أقتل!

تخيلتُ نفسي مئات المرات أذبح والدك، أسلخ الجلد من جسد عمتك، وحين كنتُ في غرفة منعزلة عن باقي الغرف بالمشفى وجدتُ سكينًا غريبًا ملقى على الأرض، فأمسكتُ به، فتساقطت على رأسي قطرات من الدم، لأنظر إلى سقف الغرفة، فوجدت كلمات من الدم :

_ماذا ستقدمين في المقابل؟

هذا ليس كل ما في الأمر، بل نظرتُ إلى موضع نومي، لأرى ذاك الكتاب الذي كان في يد والدك، رأيته يُفتح من تلقاء نفسه، ليتوقف عند صفحة صفراء تحوي كتابة غريبة لم أفهم منها شيء، ولكن سمعتُ صوتًا بداخلي يردد :

_الحياة ستبقى لوقتٍ ما، أنتِ أحق بالعيش! اتبعت إله لم يرغب في إعطائك الحياة، أنا أيضًا إله، أمامك تلك الفرصة، أنا أساعد، اتبعيني؛ للعيش في خلود تام، أمامك مائة قربان، وافقي بالدماء.

لم أتردد للحظة، بل أمسكتُ بالسكين لأجرح يدي، لتسقط الدماء على كامل الصفحة تغرقها بها، لأضحك بأعلى صوت لي، قبل أن أسمع نفس الصوت يتردد:

_مائة قربان.

_بدوية : أخبريني أرجوكِ كيف فعلتِ هذا؟ كيف قتلتِ مائة شخص؟

ارتفع صوت ضحكات رأس حية:

_هذا كان أسهل مما أتخيل يا بدوية، كل ما في الأمر أنهم أخرجوني إلى عنبر (٧)، وهذا كان أكبر عنبر في المشفى حيثُ كان يحتوي على أكثر من مائة وعشرين مريضًا.

_شهقت بدوية، ثم بابتسامة شيطانية : هل حقًا فعلتِ هذا؟

_حية : نعم فعلتُ هذا، أتعلمين يا ابنتي أن تلك أجمل ذكرى لي، حين امتلئ العنبر بأكمله بالدماء، كان كل شيء من حولي له نفس اللون الأحمر، وقتها أحسستُ بحرارة تغزو جسدي، وقد وقع السكين من يدي، ثم وقعتُ أنا الأخيرة على أرضية الغرفة.

_بدوية : ماذا حدث بعد ذلك؟

_حية : سأخبرك، لكن الآن عليكِ أن تنتهي مما بدأناه.

***

(السيدة ريم)

جلست السيدة ريم خارج الغرفة بعدما قتلت أمل نفسها، لا تعرف ماذا يحدث؟ كل ما في الأمر أن عقلها دخل في حالة صدمة مما رأته.

خرجت قمر من الغرفة، ولكن قبل أن تتجه إليها كانت في لحظة واحدة قد وقعت على الأرض، لتخرج ريم من تلك الحالة، لتتحرك من مكانها على الفور تجاه قمر، وقد أخذت تصرخ تنادي الأطباء؛ ليأتي أحدهم إليها سريعًا؛ ليساعدها، ولكنها بدأت حقًا في الصراخ كأن عقلها عاد إليها للتو، صارت تصرخ بكل قوة على ابنتها أمل التي ماتت منذ قليل، وتضرب على الباب، ليخرج إليها سريعًا أحد من طاقم التمريض يحاول تهدئتها بأن هذا من الله، وأن هذا اختبار، لكنها لم تستمع إلى كل هذا، وظلت تبكي على ابنتها التي لم تنجب سواها، وقد أصبحت وحيدة الآن.

مضى الوقت على هذا الحال ليأتي إليها الطبيب (معتز صادق) بوجه مذعور مما يحدث، وقد أقبل عليها بعدما هدأت قليلًا :

_البقاء لله يا أستاذة ريم، شدي حيلك.

_السيدة ريم : ونعم بالله يا بني.

_الطبيب معتز: أنا خلصت كل الإجراءات يا أستاذة ريم، مستنيين بس تصريح الدفن هييجي على طول، بس مش دا هو الموضوع، أنا حاسس إن فيه حاجة غير طبيعية حصلت في حالة أمل، دا مش مرض نفسي، دي حاجة أكبر من المرض النفسي.

_السيدة ريم : مش فاهمة حضرتك قصدك إيه، إن بنتي مجنونة؟

_الطبيب معتز : لا يا أستاذة ريم مش جنون، بنتك كلامها في الآخر كان خوف من كل اللي حواليها، كانت شايفة فينا حاجة مخوفاها مننا كلنا.

_السيدة ريم : قصدك كانت مسحورة؟

_الطبيب معتز: أنا مش بآمن بالسحر، بس متأكد إن في حاجة غلط.

أثناء حديثهم معًا أقبل (الدكتور محمود هاشم) أخصائي النسا والتوليد بوجه أشبه ما يُقال عنه أنه شاهد عزرائيل منذ قليل، وقد أخبره بميعاد موته، وقف محتارًا أمام السيدة ريم ما إن كان يجب أن يخبرها أم لا؟

_الطبيب معتز: مالك يا دكتور محمود؟ إيه أخبار المريضة اللي جت مع أستاذة ريم؟

_السيدة ريم : دكتور محمود طمنني على قمر، حصل لها حاجة؟ هي وقعت لوحدها، فيها إيه طمنني؟

نظر دكتور محمود أرضًا، ثم نظر إليهما مرةً أخرى:

_قمر حامل.

_الطبيب معتز: إيه يا دكتور محمود ما تقول كدا يا راجل بدل الدخلة الدرامية دي، ألف مبروك يا أستاذة ريم.

_السيدة ريم : حامل؟ حامل ازاي؟ دا رامي مش بيخ..

_الدكتور محمود : يا جماعة افهموا في حاجة غريبة، أنتم مش فاهمين!

نظر إليه الاثنان بقلق، لا تعلم ريم ما بداخلها من أسئلة تريد أن تخرجها، لكن لا تعلم أن تلك الأسئلة بداخلها ستصبح بلا قيمة!

_ليكمل الدكتور محمود: أنا كشفت على قمر بطابع إن حالات كتير في الحمل بيحصل فيها كدا، لكن حالة قمر مختلفة تمامًا، الحمل حصل من ست ساعات فقط، والجنين اتكون بداخلها كأنه في الشهر التالت!

صُدم دكتور معتز حين سمع تلك الكلمات، لكنه تيقن الآن أن كل ما يحدث وما يراه أمر خارق لا يصدقه إنسان عاقل.

لم تهتم السيدة ريم بكل هذا، إلا أن عقلها أعطاها أمرًا آخر، فتركتهما قاصدةً غرفة قمر، وما أن رأت وجهها حتى خرجت الكلمات منها كالإعصار:

_أنتِ أكتر إنسانة خاينة أنا شوفتها في حياتي، أنتِ اللي عملتِ كدا في بنتي، أنتِ وعشيقك يا خاينة، شرَّبتِ لبنتي إيه، وإلا عملتِ لها إيه؛ عشان يخلى لكِ الجو؟ أنتِ حامل يا ست هانم! حامل ازاي؟ وجوزك مبيخلفش! عرفتِ قد إيه أنتِ زبالة؟

صُدِمت قمر مما سمعته من السيدة ريم، ولكن ما هز جسدها حقًا هو سماعها لكلمة (حامل)، ولم تنتبه قمر لريم التي أمسكت بكرسي بلاستيك؛ لتلقي به على رأسها، لتصرخ قمر، قبل أن يأتي دكتور معتز سريعًا ويمسكها، ليحاول إخراجها من الغرفة، بينما على صوتها، وهي تقول:

_رامي هيعرف يا قمر! رامي هيعرف!

(سمر)

جلست قمر على أريكتها في انتظار ضيفتها سمر، كل لحظة

والأخرى تنظر إلى ساعتها، لم تعد تحتمل الانتظار:

_هتيجي امتى يا سمر؟

لم يمر الكثير من الوقت لتسمع قمر صوت دقات الباب، فهرعت نحوه بفرح؛ لتفتحه فوجدت وجه سمر أمامها بابتسامتها المعهودة على وجهها.

_قمر: والله زعلانة منك، أسبوعين مترديش عليا؟

_سمر: غصب عني يا قمر، أنتِ عارفة مقدرش على زعلك.

_قمر: عارفة يا حبيبتي والله.

عم السكون في شقة قمر لثوانٍ معدودة.

_قمر: إيه دا؟ مين طفى القرآن؟

_لترد سمر بسرعة : قمر ممكن ماية بسرعة وتعالي؛ عشان أكمل لكِ الحكاية.

ركضت قمر سريعًا إلى مطبخها، وأحضرت كأسًا من الماء، وبعض العصائر، ثم عادت إلى سمر؛ لتكمل لها باقي القصة.

أمسك علي بكتاب (حارثك) ثم فتح الغلاف ليجد أمامه لغة أغرب منها لم يرَ، لغة على شكل جماجم مختلفة، لغة تختلف على حسب نوع الجمجمة التي تراها، جهل علي تلك اللغة، لكن صُدم حين أحس أن كلتا عينيه تفهمان تلك اللغة، بل صُدم حين بدأ في قراءة الكتاب بتلك اللغة:

لا تتفاجأ أنك تقرأ الكلمات، هناك من سيقرأ الكتاب بعدك، أنت تقرأ؛ لأنك مُختار من قِبَل إله الأرض، أنت مقرَّب من الإله، أنت قدمت ما لم يستطع بشري تقديمه، أنت من فصيلة الإله، أنت شيطان، هذا كتابك الآن، سخِّر ما تشاء به قبل أن يختفي، سخِّر خادمًا لك.

انتقل علي إلى الصفحة التالية، ليجد رسومات قد رُسمت ببراعة لأشكالٍ من الشياطين مع فصيلة كل شيطان بقدراته التي يستطيع أن يكون بها معينًا لسيده، ابتسم علي ابتسامة شيطانية، ليسمع صوت وسوسة من جديد:

اعلم أنك ملهمًا للشياطين، أنت لست بحاجة إلى شيطان؛ ليساعدك، لكن صدقني الشياطين بحاجة إلى شياطين أخرى، أنت بحاجة إلى شيطان آخر، أنت تنازلت لي عن كل ما يقيدك بتلك الحياة، أنت تحيا حياة أخرى معي، قد تكون ابنًا لي، أنا أعلم جيدًا أن الشيطان بداخلك سيختار، أنت تعلم من أنا.

لتخرج الكلمات من فم علي تتسابق:

_نعم، أنت بداخلي، أنت الشيطان، نعم، كل قوي يتمنى الأقوى، هناك ملايين الشياطين حول كل البشر، أنا لا أهتم سوى بالأقوى، أريد هذا الشيطان بأي ثمن.

_ليصدر الصوت: هذا أصعب قرار؛ فأنت تتحدث عن ثاني أقوى الشياطين.

_علي : الثاني؟ أنا أريد الأول.

_ليصدر الصوت مجددًا : مستحيل.

_علي : لمَ مستحيل، أنا أريد أن أعلم.

_ليصدر مجددًا صوته : أنا المستحيل.

_هذا الشيطان ينتظر منك دماءًا، إبدأ في تلاوة مخرجه، وارسم كل رسمة بجانب الأخرى، يفصل كل رسمة عن الأخرى شمعة ملونة بالدماء، كل رسمة يجب أن تتغذى بالدماء.

_علي : من أين أحضر الدماء؟

_ليقول له : انظر بجانبك.

نظر علي بجانبه ليجد والده يعدل من ملابسه، على أتم الاستعداد؛ للذهاب إلى المسجد؛ ليصلي الفجر، نظر علي إلى الكتاب ليجد ثلاث كلمات أمامه، تلك الكلمات قتلته من الداخل:

_كنتُ أظنك أقوى.

وقع علي على أرضية البيت، ينظر إلى الرسومات الثلاثة بداخلهم الدماء، ثم نظر بجانبه في الجهة اليسرى، ليجد والده مذبوح الرقبة، نظر إلى يده، ليجد الدماء تغرقها، ثم نظر إلى السكين الملقى بجانب جثة والده.

_الصوت: اقرأ.

"جسدي يلتهم كل لحم بشري."

"أسناني لها المذاق إذا أخل سيدي."

"نحن لنا نفس الدم، قربانك حقيقتي."

"أنا أعشق الدماء، تمنى أنل أمنيتي."

_علي : أنا لا أفهم ما أقوله، ما معنى تلك الكلمات؟

_الصوت : ستعلم قريبًا، لا تخل، لا تفسد أمانيك، لا تعود عما بدأ.

عم الصمت للحظات قبل أن يسمع علي صوت مضغ، كأن أحدهم يأكل إلى جواره، فالتفت إلى يساره ليجد شيطانًا بشعًا ينزل على ركبتيه واضعًا كلتا يديه على جسد والده يأكل في أمعائه بنهم.

شيطان بجسد أحمر ناري له قرون صغيرة تملأ وجهه، وله أربعة أعين كل عين فوقها الأخرى، بذيلٍ مثل بعض الحيوانات، وحوافر الحيوانات في قدمه، بجسدٍ قوي، بطول حوالي ثلاثة أمتار.

نظر هذا الشيطان إلى علي قبل أن يهم واقفًا ليتحرك خطوات بسيطة تجاهه وينظر إليه:

_قبلتُ قربانك.

_ابتسم علي بقوة لا يعلم مصدرها: إذًا قبلتَ أن أكون سيدك؟

قبل أن تكمل سمر قصتها سمعت قمر أصوات طرق على باب شقتها، فهمت للوقوف ثم استأذنت سمر أن تفتح باب الشقة، فوجدت والدتها الست عزيزة قد أتت؛ لزيارتها، وما أن فُتح الباب حتى صدى صوت القرآن، فالتفتت إليه قمر بدهشة قبل أن تدخل الست عزيزة تاركةً قمر في تعجبها.

وجدت الست عزيزة سمر تجلس على الأريكة، تنظر إليها بكُره، وقد وجدتها بوجهٍ بشع جدًا أمامها، حيث وجدتها باللون الأحمر الدامي.

_وقفت سمر بسرعة قبل أن تقول : شكلك مشغولة يا قمر، هعدي عليكِ في وقت تاني.

_قمر: لا أبدًا يا سمر استني، أنا مش مشغولة.

نظرت قمر إلى سمر وهي تغادر بسرعة، لتنظر إلى والدتها بغضب:

_جاية ليه يا ماما؟ عايزة إيه تاني؟

_الست عزيزة : قمر يا بنتي البنت دي مش طبيعية، دي بتضحك عليكِ، ابعدي عنها يا حبيبتي.

_قمر: بطلي التخاريف دي يا ماما شكلك كبرتي!

_الست عزيزة : يا حبيبتي افهمي، أنا حلمت بكابوس لما شوفتها، وطول الوقت بدعيلك وبقرأ قرآن وبتمنى الثواب ليكِ أنتِ، لما شوفت البنت دي حسيتك في حالة تانية، ابعدي عنها يا قمر عشان خاطري.

_قمر: ماشي يا ماما، روحي أنتِ حالًا.

_الست عزيزة : برضو يا بنتي بتاخديني على قد عقلي؟ ماشي ربنا يهديكِ يا بنتي، وأنا هفضل أدعيلك.

نحن لسنا هؤلاء من يقولون هذا مستحيل، بداخل كلٍ منا إيمان أنه سيحقق عكس تلك الكلمة، هناك حقًا من سيحققها، ويجعلها حقًا أقوى، وهناك من سيجعل تلك الكلمة أقل.

من أنت؟

(رامي)

لم يتحمل رامي، أحس أن تلك السيدة تعلم أمرًا ما، فقام من مجلسه في القطار نزولًا منه، وأخذ ينظر في الوجوه من حوله يُحدث نفسه:

_أين أنتِ يا سيدتي؟ أين أنتِ؟

أخذ يطوف كل الطرق بجانب تلك المحطة، إلا أنه لم يجدها، إلى أن أحس بملمس يد على كتفه الأيمن، ليجدها أمامه.

_الست روح : حسيت إنك مش هتستحمل.

_رامي : أنا تايه دليني على الطريق.

_الست روح : كله مكتوب يا بني، أنت ممكن تكون محظوظ من كل دا، شوفها بطريقة تانية، ليه ربنا اختارك أنت من وسط كل الناس؟ أكيد في سبب، أكيد عارف أنك قد اختباره.

_رامي : أكيد كل مرض له علاج يا ست روح، أنا علاجي إيه؟

_الست روح : تعالى يا بني علاجك موجود، الله اصطفى أناس من البشر؛ ليكونوا علاج لغيرهم بأمر من ربهم.

ذهب رامي معها ليقفوا أمام منزل من طابقٍ أرضي، فقط من منظره تتحدث بما في داخلك:

_هل حقًا يسكن هنا بشر؟ إنه لمنزل أشبه بحظيرة للحيوانات، جدرانه تتماسك بصعوبة.

ما أن دخل رامي وجد ألواحًا خشبية صلبة ترتفع إلى سقف الغرفة تحاول منعه من السقوط، فُزع رامي مما تخيله؛ فهل من الممكن أن يسقط السقف فوق رؤوسنا ونحن تحته؟

ما أن خطى بقدمه داخل البيت حتى اهتز جسده ليقع خارج المنزل، حاولت السيدة روح مساعدته؛ ليقف مرة أخرى، ولا تعلم ماذا حدث له، فوقف رامي مرة أخرى يحاول الدخول، والذي ما أن وضع كلتا قدميه أحس بصداعٍ رهيب تكاد رأسه تتفجر من قوته.

حاولت الست روح مساعدته؛ ليصل إلى (الشيخ صافي)، وعندما نظر رامي أمامه وجد رجلًا جالسًا على حصيرٍ بالية متقطعة بجلبابٍ أزرق مرقع قليلًا، وأمامه بعض من الخبز في الماء، وبعض الجبن القديم، رجلٌ بوجهٍ حسن، تنظر إليه فقط تشعر بارتياح، كأنه مصدر الأمان بوجه حسن أبيض مشع يبعث الأمان بلحية بيضاء قليلًا يتخللها بعض الشعيرات السوداء، طويل القامة، تنظر إليه تراه في أوائل الخمسينيات، أو أواخر الأربعينيات.

لاحظ رامي أن عيني الشيخ بيضاء، ليعلم من داخله أنه لا يرى، ولكن عندما وقف أمامه خرجت كلمات الشيخ:

_الطار دا مش هينتهي يا رامي، أنت مش سبب في اللي حصل، فيه اللي كان له يد، لكن أنت هتكون شاهد على كل اللي هيحصل لحد ما يوصل في النهاية ليك.

_صُدم رامي مما سمع، كيف لن ينتهي؟ كيف؟

نظر إلى الشيخ لا يعلم ماذا يقول؟ ليُحرك الشيخ رأسه إلى الست روح قبل أن تغادر المكان، ثم نظر إلى رامي:

_رامي أنت صغير عشان تواجه كل دا، لكنك يا بني تحملت، أنا معايا ليك هدية، أنت شوفت بيتي كنت بتقول من جواك ازاي بيسكن البيت دا بشر، لكن أنا ساكن فيه، صدقني يا بني إذا حد عرف اللي غيره بيتحمله هيقول نفس الجملة المعتادة:

_ازاي تحملت كل دا يا أخي؟!

_تعالى معايا يا بني.

دخل رامي مع الشيخ صافي إلى غرفة لا يوجد بها شيء سوى زير صغير بداخله الماء، وضع الشيخ صافي يده على كتف رامي ثم قال:

_عايزك تفكر في شيء بتتمنى من جواك إنك تعرف حقيقته.

نظر رامي إلى داخله، لتأتي إلى ذاكرته صورة زوجته في أحضان أخيه، لينظر إلى الشيخ الذي قال: انظر إلى الماء.

نظر رامي إلى الماء، ليضع الشيخ يده على رأس رامي واضعًا إياها داخل الماء، فحاول رامي أن يبعد يده، لكنه شعر أنه يستطيع التنفس في الماء، وبدأ يرى الحقيقة أمامه.

_مراد : قمر مش خايفة أخويا يعرف إننا بنتقابل في السر؟

_قمر: والله يا مراد أنا لحد الآن معرفش أنا وافقت على أخوك ازاي؟ وأنت كنت فين؟

لتعلو ضحكاتهما على كافيه (النجمة) بجانب النيل، ليعطي سحرًا للمكان، فتنظر من شرفة الكافيه إلى المياة الساحرة بجانبك، فتشعر أن كل مشاكل العالم في تلك اللحظة تختفي فقط مع تلك النظرات إلى الماء.

_نظرت قمر إلى مراد : عايزة أتفسح بالعربية شوية يا مراد.

_مراد : بس كدا؟ دا أنا كمان جبت إزازة الويسكي اللي كنتِ طالباها مني، فاكرة؟

_قمر: بجد يا مراد؟ دي البت آلاء صاحبتي بتقوللي جوزها شرب كأس نام عشر ساعات!

_ضحك مراد إلى قمر، ليحدثه شيطانه : تلك فرصتك!

_تحدثت قمر بداخلها : أتمنى أن ينتهي قرباني لك يا شيطاني، أنا أفعل المستحيل؛ لينتهي كل هذا.

أخذا يلهوان بالسيارة في شوارع القاهرة ليلًا يضحكان، ثم أخرج مراد تلك الزجاجة؛ ليعطيها إلى قمر التي فتحتها ثم بدأت بالشرب، لينظر إليها مراد بتعجب، كيف تفعل هذا؟ تلك الزجاجة قوية!

_مراد : قمر اهدي شوية ممكن يغمى عليكِ.

_قمر : أنت شكل قلبك خفيف يا مراد! أنت مفكرني صغيرة؟

لم يمر الكثير من الوقت حتى بدأت حالة السكر تظهر على قمر، ليأخذها مراد إلى بيتها، ثم حملها بعدما تأكد أن لا أحد يراهما؛ ليصعد بها إلى البيت، ووضعها على السرير، ثم أخذ ينظر لها ولسان حاله يقول:

_تلك فرصتك!

_نظر مراد إلى نفسه بندم : كيف فعلتُ هذا؟ تلك تكون زوجة أخي!

_أخذ مراد يرتعش : هذا عِرض أخي! لا ماذا فعلت؟

ليتوقف عن الحركة، وفجأة بدأت الدماء تسيل من رقبته، ليرى قمر قد مررت سكينًا عليها، ليسقط أرضًا بين دمائه.

أخرج الشيخ رأس رامي من الماء لينظر إليه، لا يعلم أيشكره على تلك الفرصة؟ أم يتمنى لو أنه غادر ولم يرَ تلك المرأة؟ لا أحد يتمنى أن يكون في مثل هذا الموقف وهو يرى زوجته في أحضان غيره.

أخذت تنهمر الدموع من عينيه، لا يعلم لمَ يبكي؟ هل لأنه أعطى زوجته الحب، وأرادها زوجةً له رغم أنها لا تنجب، بل تمسك بها؟

_تذكر رامي في تلك اللحظة: أين جثة أخي؟

أحس رامي بحرارة في يده ليجد رقم (٥)، نظر إلى الشيخ، ثم ركض خارج البيت سريعًا:

_من مات؟

الفصل السابع

(أرواح تُسلب)

(الدكتور معتز صادق)

خرج الدكتور معتز من المشفى لا يدور في عقله سوى تلك المريضة التي انتحرت بدافع الخوف، ما السر يا تُرى؟

رأيتُ الكثير من حالات الانتحار، لكن ماذا رأت تلك المريضة في كل من حولها؟ نعم، هناك أمر غير طبيعي فيما حدث لها، كيف لم أتذكر أمر جارتها قمر؟ أتذكر ما تحدث به زميلي محمود حين قال أن حملها كان من وقت قريب للغاية، كيف لهذا الجهاز العجيب في المشفى أن يُخرج البيانات بتلك السهولة؟ نعم قال أنها في الشهر الثالث، رغم أن حدوث الحمل كان في الليلة الماضية، هذا أمر مخالف للطبيعة!

خرج دكتور معتز من سيارته متجهًا إلى بيته، ليبصر قطة سوداء واقفة أمام باب البيت، حيث يسكن في عمارة يدفع بها إيجار شقتين؛ شقة يسكن بها هو وزوجته (تقى)، وأخرى اتخذها عيادة له.

نظر معتز إلى تلك القطة ليجدها تنظر إليه، لا تعلم أتنظر إليه بغضب؟ أم هذا ما يتخيله؟ تحركت القطة قليلًا ثم وقفت، وحركت رأسها قليلًا إلى معتز، ثم زمجرت ليرتعش جسده، وما أن تحركت أخرج معتز المفتاح سريعًا؛ ليضعه بباب بيته، ليفتحه سريعًا، وما أن دخل حتى وجد نور المطبخ مضاء، وسمع صوت

حركة بداخله، فتساءل ما إن كانت زوجته تطهو في تلك الساعة بعد منتصف الليل؟

تحرك معتز ليمر بجانب الغرفة التي على يمينه، ولم يلحظ بها ذاك الخيال المتشكل في الظلام، لا يرى شيئًا سوى المطبخ أمامه، وصل إليه ليجد زوجته تقف وتطهو ممسكةً المقلاة تحركها في يدها، فتحرك بخطواتٍ بطيئة :

_ تقى! تقى حبيبتي بتعملي إيه؟

ما أن انتهى من كلماته حتى وجد الزيت المغلي من المقلاة يُسكَب في وجهه، ليصرخ معتز بشدة قبل أن تضع تقى يدها على فمه، ليرى عيونًا حمراء نارية تطالعه من وجه زوجته:

_تقى!!

لم يكمل معتز الصرخة ليجد الدماء تنهمر من رقبته بعدما ذبحته تقى، ليسقط على أرضية المطبخ بين دمائه، وبعد لحظات نظرت تقى إليه لتصرخ:

_معتز! معتز!

لينكسر باب شقتها، ويتدافع الجيران إلى الداخل، حتى بدأت النساء بالصراخ، فبدأ الرجال بمحاولة إخراجهن، وقد أتت الشرطة، ثم أتت سيارة الإسعاف.

أخذت تقى تصرخ باسم زوجها معتز، لا تعلم من قتله؟ أو ماذا حدث؟ ولا تعلم المسكينة أنها هي من قتلته، أخذت تصرخ كأن مس قد أصابها.

وبعدما تم أخذها إلى قسم الشرطة وُضعت في حجزٍ انفرادي، ولم يستطع أحد استجوابها، أخذت تأنب نفسها، وتُحدث نفسها أعراض الصدمة التي اجتاحت جسدها، حتى أن عقلها لم يعد يعمل بشكلٍ طبيعي.

ثلاثة أيامٍ فقط كانت كفيلة لتحويلها إلى مستشفى الأمراض العقلية، بعدما أظهرت التقارير خلل في وظائف العقل لديها.

*****

(الدكتور محمود شاكر)

استيقظ الدكتور محمود في الساعة الرابعة صباحًا على صوت رنات هاتفه، فمد يده؛ ليلتقط الهاتف من على المنضدة الصغيرة بجانبه، ليجد مدير المشفى يخبره بأن معتز صديقه توفي اليوم في حادث أليم، صرخ محمود لتفزع زوجته (نجوى) وقد استيقظت من نومها لتجده يرتدي ملابسه سريعًا ويردد:

_لا حول ولا قوة إلا بالله.

حاولت سؤاله عمّا حدث، لكنه لم يجب، فقط أخذ مفاتيح سيارته، وغادر المنزل على عجلة.

أثناء قيادته للسيارة سمع أصواتًا تهمس حوله، لينظر إلى الخلف، فوجد قطةً سوداء تجلس في المقعد الخلفي للسيارة، فحاول إيقاف السيارة، ولكنه تفاجأ بأن الفرامل لا تعمل، أخذ يحاول السيطرة عليها يمينًا ويسارًا ولكنه لم يستطع، لتنقلب السيارة رأسًا على عقب، فحاول محمود الخروج منها، ولكنه ما إن خرج نظر خلفه ليجد سيارة نقل ثقيل، وقد تفاجأ سائقها من الحادث، فلم يستطع السيطرة عليها، ليصدم محمود، لتُكتَب نهايته تحت إطارات السيارة.

*****

(السيدة ريم)

جلست السيدة ريم تبكي وسط النساء في عزاء ابنتها أمل الشابة الجميلة التي لم تتحمل أن تترك قمر في تلك الحالة، وأصرت أن تكون بجانبها؛ لتساعدها، ولكن تلك المرأة القذرة فعلت كل هذا بابنتي!

كانت تدور تلك الكلمات في عقل ريم، بينما أخذن النساء من حولها يحاولن التخفيف عنها، ولو جزء صغير مما تشعر به؛ فهي لا ترى شيئًا أمامها سوى صدمتها لرؤية ابنتها في تلك الحالة، لمَ كانت تشعر بالخوف؟ كيف كانت ترانا؟ كل تلك الأسئلة تجمعت معًا في عقل ريم، لكن حدث أمرًا آخر عندما سمعت ريم صوت ابنتها تنادي من غرفتها، لتخرج من تلك الحيرة، وقد بدأت في النظر حولها.

_أمل : لا تتحدثي يا أمي مع هؤلاء النسوة، فقط تقدمي إلى هنا.

تحركت ريم من مقعدها، ولا طريق أمامها سوى غرفة ابنتها، وكانت تسير كأنها تحت تأثير ابنتها فقط.

_أمل : أسرعي إلى هنا يا أمي أفتقدك.

أسرعت ريم إلى الغرفة لتجد ابنتها تشع ضوءًا من جسدها وتنظر إليها:

_هل تريدين أن تتواجدي معي يا أمي؟

نظرت إليها ريم والدموع تغرق وجهها:

_أنا مفيش حياة لجسمي بدونك، كنت بضمك فأحس إن جسمي فيه طاقة، كنت بحصل على الطاقة منك أنتِ، كنتِ الابتسامة اللي بتنور قلبي وبتحرك الدم جوايا، أنتِ الزهرة اللي بتنشر ريحتها في البيت؛ عشان أتنفس من رؤيتك، أنتِ اللي خرجتِ من جسمي؛ عشان تعطيني الحياة.

_نظرت أمل لها قبل أن تلقي لها السكين : أنا أنتظرك يا أمي.

أمسكت ريم السكين وهي تنظر إلى أمل بتلك الابتسامة الزائفة، وما أن مررت السكين على رقبتها حتى تبدلت هيئة أمل إلى وجه بدوية، لتسقط ريم بين دمائها بصدمة لم ترَ لها مثيل بعد الموت.

لم يمر الكثير من الوقت لترى إحداهن الدماء من تحت عقب الباب لتخرج أول صرخة معلنةً موت السيدة ريم.

(بدوية)

_بدوية : انتهت الحفلة يا أمي، أنتظر المولود بحرارة جهنم جنتنا يا أمي، ينتظرني خمسة وتسعون قربانًا، هذا ما سيجنيه شيطان قمر، لا أعلم كيف سيتحقق هذا الأمر؟ كيف ثلاث ليالٍ كافية ليصبح الجنين حاضر؟

_رأس الست حية : هذا شيطان يا بدوية بجسد بشري، يعني قدرة شيطان وليس قدرات سببها كتاب.

_بدوية : هل من الممكن أن تُسلب تلك القدرات ؟

_الست حية : أكثر شيء أخشاه يا ابنتي، نعم من الممكن أن تُسلب تلك القوة.

_بدوية بخوف : كيف يا أمي؟ كيف تُسلب تلك القوة؟ أليس بفعل شيطانك هو من يحمينا؟

_الست حية : افتحي الكتاب وفكري، ستجدين الإجابة.

توجهت بدوية إلى الكتاب وأمسكت به لتضعه على الرمال في بيت القش، فكرت في أكثر ما يُقلقها لتجد صفحات الكتاب تتوالى لتستقر على صفحة سوداء بكلمات من جماجم مختلفة كُتبت بدماء شيطان.

"تمنى سيد أحد الكتابين أن يفتح الهلاك على سيد الكتاب الآخر، سيرى جحيم الضعف إذا تمنى الموت لنفسه، وإلى سيد الكتاب الآخر، سوف تُقص أحداثه على السيد الجديد، لكن الحذر إذا تمنى مالك نفس الكتاب الموت

لنفسه، وإلى سيد الكتاب الآخر، فتختفي تلك الكتب، بل تختفي الشياطين بأكملها، ويصبح سيد الكتاب الآخر بلا أي قيمة، يصبح بشريًا قابلًا للموت مثل البشر، حتى تظهر الكتب مرة أخرى في أي وقت في تلك الحياة."

أغلقت بدوية الكتاب في فزع، ثم نظرت إلى رأس والدتها، وقد شعرت بالضعف لأول مرة رغم كل تلك القوة بداخلها، تشعر بالضعف.

_حية : أنا إلى الآن يا ابنتي لم أتمنَّ، بل أفكر فقط، أجد شيطاني يحقق ما أفكر فيه، كل ما أعرفه أن مالك الكتاب الآخر في وقتٍ ما تمنى لي الموت.

_نظرت بدوية إليها بفزع : أتقصدين يا أمي أن بكل تلك الحياة التي مرت كان من الممكن أن ننتهي؟!

نظرت حية إلى بدوية، وقد أحست أنها ضعيفة تخشى أن تختفي تلك القوة التي تملكها بفعل الشيطان، تخشى أن تُسلب منها مثلما سلبت الدماء من أجساد حُكم عليها بالموت بأمرٍ منها، الآن تخشى أن تكون من البشر، تخشى الضعف، كيف تخشى ضعف البشر، ونفس الضعف تشعر به الآن في حالة القوة بداخلها؟

_بدوية : أرجوكِ يا أمي كيف حصلتِ على تلك القوة؟ لمَ حصلتِ عليها من الأساس؟ كان يجب أن تتركيني أشعر بما يشعر به البشر.

_حية : لم يكن لدي خيار يا ابنتي، كنت قد حققتُ رغبة الشيطان من البداية كانت الرغبة مائة قربان؛ لأفتح الكتاب فقط.

_بدوية : أي خيار تتحدثين عنه يا أمي؟ هل تقصدين أني كنتُ جزءًا من الكتاب؟

_نظرت حية إلى بدوية : كنتِ أنتِ تلك الأمنية التي تمناها شيطاني حين يتم مائة قربان؛ لكي يصبح الكتاب بين يديك؛ لتصبحي أنتِ سيدةً له.

_بدوية : كيف؟ أنت سيدة للكتاب، تملكينه، بل تملكين شيطانك.

_حية : أنا أملكه فقط، لكن لم يخترني الكتاب لهذا، بل اختارني كبوابة لكِ أنتِ، لا أعرف بما يفكر إله الأرض إبليس الآن؟

_بدوية : أرجوكِ أخبريني ماذا حدث في تلك الليلة يا أمي؟

_حية : حين استيقظتُ وجدتُ نفسي نائمة بين الرمال بيدي نفس السكين، نهضتُ لا أعلم ما حدث بعدما قتلتُ هؤلاء النسوة؟ رأيتُ أمامي بيت زوجي، لا أعلم شيئًا، أو ما أتى بي إلى هنا؟ سمعتُ همسات من حولي:

_أنتِ أحق بالكتاب، أسرعي قبل أن يقدم قربانه.

أخذتُ أجر قدمي، لا أعلم ماذا سيحدث الآن؟ وقفتُ بجانب الشرفة الخلفية للبيت، سمعتُ صوت بكائك، حاولت النظر لأجد ما صدم قلبي، وجدتُ أخشابًا مشتعلة في الغرفة، وبعض السكاكين، فسمعتُ نفس الهمس يخبرني:

_حرري شيطانك.

نظرتُ إليكِ يا ابنتي، ثم نظرتُ إلى السكين في يدي، وتوجهتُ إلى باب البيت، لأدفعه بقدمي، فأصدر صوتًا كان كافيًا لتخرج عمتك، فلم أعطها وقتًا؛ لتُصدم، فقد وضعتُ السكين على رقبتها لتسيل الدماء وعيناي تواجه عينيها، وآلاف الكلمات تدور في عقلي:

_نعم! المزيد من القرابين لكَ يا إله الأرض.

توجهتُ إلى الغرفة التي يقام بها حفل موتك يا ابنتي، كان والدك يزيد من إشعال النيران، كان يريد أن ينتهي منكِ بأقصى سرعة، يريد أن تزول علَّته؛ فأنتِ دواؤه الآن.

أحسستُ أن قدماي تتحركان من تلقاء نفسيهما، تريدان أن تشهدان نهاية والدك، وما أن وقفتُ بجانب باب الغرفة سمعته يقول:

_أسرعي يا شربات قد حان الوقت!

خرجت مني ضحكة عالية، لم أعرف كيف خرجت حتى؟ حتى رأيتُ الكتاب قد ارتفع عاليًا من يده ليسقط أمامي، فمددتُ يدي؛ لألتقطه، ثم نظرتُ إلى والدك الذي كانت حليفته الصدمة كأنه فقد النطق، ثم نظر إلى وقال:

_يبدو أن الكتاب اختار سيدًا له.

أخذ والدك يبتعد قليلًا حتى اصطدم ببعض الأخشاب، ليقع داخل النيران، والتي ما أن أمسكت به بدت كأنها قد عشقت جسده، ولم تنطفئ، بل أخذت تتزايد حتى سكن على أرضية الغرفة جثةً مفحمة.

أمسكتُ بكِ، وخرجت من البيت، فلم أجد أحدًا من الجيران، لا أدري كيف لم يسمع أحد تلك الأصوات؟ ثم سمعت همسًا:

_لا تفكري.

فنظرتُ لكِ لأراكِ تحتضنين الكتاب يا بدوية.

_بدوية : هل تقصدين يا أمي أن الكتاب فعل كل شيء؛ حتى يحرر الشيطان بداخلك؟

_حية : هذا ما أعرفه يا ابنتي، كان الكتاب يختار سيدًا، وأنتِ هي سيدة الشيطان، يجب أن ننتظر مائة قربان.

_بدوية : لا تقلقي؛ فقمر قد قاربت على إخراج ابن الشيطان.

****

(سمر)

أمسكت قمر هاتفها الخاص، ثم أخذت تبحث عن رقم سمر، وما أن وجدته حتى اتصلت بها على الفور ليأتيها صوت سمر مُرحِّبًا بها.

_قمر: أنا آسفة يا سمر ماما متقصدش.

_سمر: لا يا قمر أنا لما جيت البيت كنت باجي عشان اعتبرتك صاحبتي.

_قمر: أنا صاحبتك يا سمر، أنتِ الصديقة الوحيدة اللي عرفتها عشان خاطري.

_سمر: عشانك بس يا قمر، كنت بضحك معاكِ، أنا واقفة على السلم كنت مستنية مامتك تمشي.

أخرجت قمر ضحكة عفوية، ثم فتحت لها الباب لتتشاركا الضحكة عندما تقابل وجهيهما.

جلست سمر برفقة قمر؛ لتكمل باقي القصة، لكن تلك المرة لا تعرف قمر أنها ستكون مختلفة.

_سمر:أنا ممكن أخليكِ تشوفي باقي القصة.

_نظرت قمر إليها بجهل : ازاي أشوف القصة؟

_سمر : صدقيني ممكن أخليكِ تشوفي باقي القصة، دا لو حابة، أنا عملت أبحاث كتير عن الكتاب دا، وعرفت إن ما دام أنتِ لقيتي الكتاب دا يبقى الكتاب اختارك.

لا تزال تنظر إليها قمر بتلك النظرة المستفهمة؛ فهي لا تفهم ماذا تريد سمر إخبارها؟

_سمر : هاتي الكتاب يا قمر وأنا هفهمك.

تحركت قمر من على الأريكة متجهة إلى المكتبة الصغيرة في غرفة النوم الخاصة بها، ثم أمسكت بالكتاب، لتسمع صوت والدتها:

_صدقيني أنا مش مستريحة للبنت دي يا قمر.

ليقع الكتاب من يدها قبل أن تسمع صوت صراخ سمر في الخارج، فركضت إليها لتجدها جالسةً مكانها على الأريكة.

_سمر: فين الكتاب يا قمر؟

قمر:أنا سمعتك بتصرخي!

_سمر: بصرخ؟ لا يا قمر أنتِ وقعتي الكتاب!

_قمر: عرفتي ازاي؟

_سمر: لا أنا بس سمعت صوت حاجة وقعت، هاتي الكتاب دا، وهتشوفي كل حاجة كأنك كنتِ مع علي في كل حاجة عملها.

ركضت قمر إلى غرفتها مرة أخرى وأحضرت الكتاب سريعًا، ثم أعطتها إياه، لتنظر إليها سمر: قمر متأكدة من اللي هتعمليه؟

_قمر: أيوا متأكدة يا سمر ومستعدة.

_سمر: لازم تحققي طلب للكتاب؛ عشان تكوني قبلتِ تكوني جزء من الكتاب.

_قمر: مش فاهمة يا سمر.

_سمر: افتحي الكتاب.

أمسكت قمر بالكتاب، ومئات الأسئلة تطوف في عقلها:

_لا تفتحي! لا تسمعي لها!

_لتسارع سمر: قمر افتحي الكتاب، هتشوفي كل حاجة كأنك كنتِ معاهم، وهتحققي كل اللي بتحلمي بيه، بس افتحي الكتاب.

ما أن فتحت قمر الغلاف، وجدت الكلمات على هيئة جماجم، لتنظر إلى سمر التي قالت لها:

_انظري فقط.

التفتت قمر مرة أخرى إلى الكلمات لتجد أنها تستطيع قرائتها، كأنها باللغة التي تتحدث بها.

لا تتفاجأ أنك تقرأ الكلمات، هناك من سيقرأ الكتاب بعدك، أنت تقرأ؛ لأنك مُختار من قِبَل إله الأرض، أنت مقرَّب من الإله، أنت قدمت ما لم يستطع بشري

تقديمه، أنت من فصيلة الإله، أنت شيطان، هذا كتابك الآن، سخِّر ما تشاء به قبل أن يختفي، سخِّر خادمًا لك.

نظرت قمر إلى سمر، لتشير لها سمر بإصبعها أن تكمل الكلمات التي كُتبت في أسفل الورقة، لتنظر بالفعل، فوجدت كلمات تُكتب الآن، فأحست بالخوف؛ فمن يكتب تلك الكلمات الآن؟ كُتب:

_لتقدمي الولاء لي، يجب أن تقضي ليلة مع شقيق من ستكونين بجانبه طيلة حياتك.

نظرت قمر بصدمة إلى ما تقرأ قبل أن تجد كلمات أخرى تُكتب:

_يجب أن يكون هذا فقط خلال ثمان ساعات؛ حتى لا يأتيكِ الموت.

نظرت قمر بصدمة إلى سمر:

_إيه الكتاب اللي أنا شايلاه دا؟ ليه خليتيني أفتحه؟

_سمر: دا كتابك يا قمر، أنا عطيتك فكرة، وكان من الممكن إنك ترفضي، لكن أنتِ كنتِ مرحبة بفتح الكتاب، أنا قولت لكِ أن الكتاب دا هو اللي بيختار، نفذي الشروط يا قمر.

تحركت سمر من موضعها لتترك قمر في صدمتها، وتغادر المنزل، فجلست من خلفها قمر لا تعرف ماذا تفعل، لتمسك الهاتف قبل أن تتصل بمراد.

_مراد : قمر ازيك عاملة إيه؟ ليكِ وحشة والله.

_قمر : مراد أنا تعبانة وعايزة أسهر ممكن تسهر معايا؟ رامي عنده شغل.

_مراد : مقدرش أرفضلك طلب، ساعة وأكون عندك، عاملك مفاجأة كمان لما أوصل.

أخذت قمر تبكي، لا تعرف لمَ فعلت هذا؟ لمَ سمعت كلام سمر؟ لكن الآن انتهى البكاء، ويجب أن تنفذ الشرط، نعم كنتُ بعيدة عن الله، والآن يذلني شيطان؛ حتى أفعل هذا الذنب، أي شيخ سيقتنع أن هناك كتاب يأمرني، حتى إذا ذهبتُ إلى أحدهم ستنتهي المدة، لا يوجد أحد سوى المشعوذين في سوهاج، لكن المدة ستنتهي، ولا يوجد حل سواك الآن يا مراد.

_سمعت قمر همسات تخبرها : ماذا لو قتلتيه بعد هذا الأمر؟

*****

(رامي)

ركض رامي بكل سرعته، لم يعد يهتم لشيء، لا يعلم لمَ يحدث كل هذا؟ زادت أوجاعه حينما رأى زوجته وشقيقه معًا، لا يعلم السبب الذي دفع زوجته؛ لفعل هذا الأمر، أحس من داخله أن كل هذا بتخطيط شيطان، أوقف تاكسيًا وأعطاه عنوان البيت، ولكن بعد لحظات وجد رامي أن الطريق ليس طريق منزله، حاول أن يتحرك، ولكنه لم يستطع، كأن هناك من يسيطر عليه، ليجد رامي عينيه

تنغلق من تلقاء نفسها، ليستيقظ سريعًا ليجد نفسه نائمًا في التاكسي ولا يوجد أحد غيره، ووجد نفسه يقف أمام مشفى، فحدَّث نفسه:

_لمَ أنا هنا؟

نظر أمامه ليجد جاره (محسن الناظر) يقبل عليه بوجهٍ مستغرب كأنه يقول له : كيف حدث ذلك؟

نظر إليه محسن، قبل أن يمسك يده ويجذبه خلفه، ليصعدا معًا الكثير من أدراج السلم، حتى وجد الكثير من جيرانه يقفون أمام غرفة الولادة، وجميعهم ينظرون إليه باحتقار، واشمئزاز؛ فهم يعلمون أنه لا يُنجب، إذًا من فعل هذا؟

تقدم طفل صغير من بينهم إلى رامي ليقول له :

_عمو رامي متقلقش قمر هتجيب بيبي صغير.

لينظر له رامي بجنون، لتخرج منه الكلمة بصوتٍ هادئ : قمر!!

أمسكت والدة الطفل يده تجذبه لتغادر، وبعدها غادر الجميع على صوت أحدهم :

_جوزها جه خلاص.

_ثم صوت آخر : سايب مراته على حل شعرها.

لينكسر قلبه، ولسان حاله يقول : ماذا فعلتِ يا قمر؟

خرج أحد الأطباء من غرفة العمليات لينظر إليه.

_الطبيب أشرف صالح : حضرتك جوزها يا أستاذ..؟

_نظر رامي إلى الطبيب بصوتٍ منكسر: أيوا يا دكتور.

_الطبيب : ألف ألف مبروك يا أستاذ..

_رامي : رامي.

_الطبيب : ألف مبروك يا أستاذ رامي المدام جابت ولد، يتربى في عزك يا رب.

نظر رامي إليه نظرة يحاول إخفاءها عن الجميع؛ فهو ليس والد الطفل، ليتذكر أمرًا آخر:

_كيف أنجبت قمر، ولم أرَ أعراض الحمل، أو لم أرها ممتلئة؟ هناك شيء آخر أجهله، هل هذا بفعل...؟

حاول الدخول، ليمنعه الطبيب:

_لازم ترتاح دلوقت يا أستاذ رامي، بكرة الصبح تقدر تتطمن عليها، بعد إذنك حالتها متسمحش بأي زيارة.

خرج رامي من المشفى، وكل ما يدور في عقله الشيخ صافي، هو من يستطيع أن يعلم ما يجهله هو.

بعد ساعة كان قد وصل إلى منزل الشيخ صافي، وقف أمام البيت يتذكر ما حدث في المرة السابقة حين دخل إليه، فسمع صوت الشيخ من الداخل:

_ادخل يا ولدي.

خطا رامي بقدمه اليمنى داخل البيت بحذر، فارتعش جسده قليلًا، ثم دخل إلى البيت، ووقف أمام الشيخ صافي لا يعلم ماذا يقول، لتخرج الكلمات من الشيخ صافي تريح قلبه:

_متقلقش دا مش من فعل بشري.

نظر رامي إليه بغرابة شديدة، لا يفهم معنى تلك الكلمات:

_مش فاهم حاجة يا شيخ!

_الشيخ صافي : الولد دا مش ابنك يا رامي، مراتك غلطت مرة بس دا مش من فعل بشري، الجنين دا شيطان!

_نظر رامي إليه بصدمة : شيطان لازم نموته؟

_الشيخ صافي : رامي افهم اللي أنت بتقوله، دا صعب، دا موجود لسبب.

_رامي : سبب إيه اللي يخلي شيطان يحتاج لبشري.

_الشيخ صافي : لا يا رامي، اللي بيحصل دا من فعل البشر الشياطين، دول خدم إبليس، مش عارف اللي بيحصل دا كله سببه إيه، أنت كانت مشكلتك مع

الطار، ظهر كتاب أسود لزوجتك فتح كارثة مع الطار، أو يمكن كل دا بسبب الطار!

_رامي : أنا مش فاهم حاجة يا شيخ فهمني!

_الشيخ صافي : أنا هفهمك يا بني كل اللي عرفته.

*****

(في نفس الوقت)

على فراشها كانت قمر نصف نائمة، كانت عيناها مغلقتين، لكن تفكر فيما حدث، كيف أنجبتُ في ثلاث ليالٍ؟ كيف تكون الجنين بداخلي؟ هل من مراد؟ لا، قد فعلتُ كل ما يلزم؛ لمنع حدوث هذا الأمر، كيف جاء هذا الجنين يألله؟ أعلم أني عصيتك يألله! أرجوك ألهمني الإجابة.

وقع على مسامعها صوت حركة بجانبها، لتجد الطفل يتحرك على فراش صغير بجانبها، أخذت تنظر إليه حتى وجدته يحاول الوقوف على قدميه، وقعت الصدمة عليها؛ فكيف يحدث هذا؟

هل كل ما يحدث بفعل (ناج)؟ لا، طلبتُ ألا يظهر سوى مرة كل عام، أخذت قمر تفكر، ونظرت إلى الجانب الأيمن، لتجد الطفل أمام عينيها يبتسم ابتسامةً شيطانية، لم تفكر قمر قبل أن تصرخ بصوت سمعه كل من بالخارج، ليتجمع

الجميع من عاملين وممرضات بداخل غرفتها، وكانت لا تزال تصرخ، وحاول أحد الأطباء تهدئتها؛ ليفهم لماذا تصرخ، فنظر إليها دكتور (أمجد غريب):

_اهدي يا مدام قمر حضرتك بتصرخي ليه؟

_قمر: الطفل! الطفل شوفته وهو بيمشي!

_دكتور أمجد : الطفل في السرير الصغير أهو، عارف إنك قلقانة عليه.

_قمر: لا لا أنا شوفته بيمشي وقرب من وشي.

_دكتور أمجد : مدام قمر اهدي حضرتك ممكن دا من أثر البنج بس متقلقيش أنا هطلب من الممرضة (إيمي) تتطمن عليكِ كل شوية.

بعد أن غادر دكتور أمجد خرج صوتًا شيطانيًا لا تعلم قمر ما إن كان هذا صوت الطفل؟ أم الصوت الذي كانت تسمعه من قبل؟

أنتِ العار الأكبر لشخصٍ أحبك، كيف فعلتِ هذا العمل الفاحش؟ كنتِ وما زلتِ شيطانًا، أنتِ أحق بأن تكونين ابنتي، فعلتِ كل شيء، ولكن ما زال هناك شيء آخر، يجب عليكِ الابتعاد عن كل من يراكِ؛ فإنكِ البلاء.

التفتت قمر مرة أخرى إلى الطفل، لتجد عينيه حمراوتين، فسمعت صوتًا يأمرها أن تبدأ في الهروب، والابتعاد عن كل شخص كان شاهدًا على تلك الواقعة، تعلم ما سيقال عنها، وتعلم كيف سيعاني زوجها، وتعلم كل شيء، لكن الآن كل

هذا سيهدأ بعد فترة من هروبها، تحركت إلى الطفل، وهي تشعر بالرعب، لسان حالها يقول:

_كيف تكونت بداخلي؟ أرجوك كيف جئت؟ من أباك؟ كيف أخرج من هنا؟

ارتعش جسدها حين سقط الكتاب أمام عينيها، وأخذت تتمتم بكلمات بصوتٍ خافت، ليظهر أمامها (ناج).

شيطان أسود بأعين حمراء مشتعلة، بقرون ملتفة مثل قرون الأغنام، بجسدٍ قوي، وأنياب تخرج من كامل جسده.

نظر إلى قمر التي لم تتحدث؛ فهي تخشى منظره، ولكنها تحدثت بداخلها:

_أريد أن أخرج من هنا.

تحرك ناج من أعلى الكتاب، ووقف أمام قمر التي كانت تنظر أرضًا، ليسيطر الظلام على الغرفة بأكملها قبل أن يبدأ بالاختفاء تدريجيًا لتظهر قمر حاملةً الطفل بين يديها في منزلها القديم.

_رامي : تقصد يا شيخ إن العلامة اللي في إيدي مؤشر خلود شيطان بشري مرتبط بالجنين؟

_الشيخ صافي : يا بني دا بلاء ربنا بيختبرك بيه، لازم الجنين دا يموت، دا ابن الشيطان، دا اتكون بفعل شيطان يا رامي!

_رامي : قمر هتعمل إيه يا شيخ؟ قمر مرتبطة بالشيطان اللي في الكتاب، أكيد فيه حل يا شيخ، لازم نعمل حاجة، نحرق الكتاب!!

اهتز الشيخ صافي من على مقعده حين سمع عن إحراق الكتاب، ليصرخ بعنف:

_لا هذا أمر خطير، سوف تفتح بوابة للشياطين.

اهتز رامي حين سمع عن بوابة الشياطين، فنظر له ليقول:

_الحل إيه يا شيخ؟

_نظر الشيخ إليه : الحل بسيط يا رامي لكن في عقبة واحدة.

نظر إليه رامي ينتظر معرفة ما هي تلك العقبة حتى صُدم من كلمات الشيخ:

_موت قمر!

تبدلت ملامح وجه رامي حين سمع تلك الجملة، ووقف من على مقعده ينظر إليه بصدمة، كيف تموت زوجتي؟ كيف تموت قمر؟

ارتفعت حرارة يده لتضئ الكلمة: تذكر.

نظر الشيخ إلى رامي، ثم قال:

_أنت بتواجه أكتر من شيطان يا بني، منعرفش مين منهم إبليس، أنا بشك أن الطار مع إبليس، والكتاب من شياطين البشر اللي بيمجدوا إبليس.

_نظر رامي إليه : ليه زوجتي تموت؟

_الشيخ : مالك الكتاب قبل زوجتك، تمنى يا رامي، التمني في ميثاق الكتاب بيمثل ترك الشيطان، أو الرفيق، الشيطان دا بيحقق اللي بتتمناه، ازاي تتمنى ومعاك اللي بيحقق الأماني؟ لما تتمنى لازم تموت، ومالك الكتاب قبل زوجتك تمنى موت مالك الكتاب الآخر، ووقت التمني كان مالك الكتاب الآخر هي بنت الشيطان اللي اسمها حية، وبعدين مات مالك الكتاب الآخر أبشع موتة، فلازم زوجتك تتمنى موت مالك الكتاب الآخر دلوقت!

_رامي : كل اللي بيحصل في الوقت دا بسبب بدوية!

_الشيخ صافي : في أسرع وقت يا رامي لازم قمر تتمنى موت المالك الآخر للكتاب، ولازم قمر تموت في أسرع وقت!

نظر إليه رامي وهو يشعر أن الشيخ يخفي عليه أمرًا ما، ليقرأ الشيخ ما في عقله قبل أن يقول : أيوا يا رامي أنا مخبي حاجة عليك.

نظر رامي إليه بتعجب، يعلم قدرته عجيبة، فقط نظر إليه ليستمع إلى ما سيقوله:

_مالك الكتاب قبل زوجتك تمنى موت مالك الكتاب الآخر، وبعدين موت مالك الكتاب من بعده.

_رامي بصدمة : ليه أتمنى موت المالك من بعده؟

_الشيخ : ماتقاطعنيش!

تمنى الموت لمالك الكتاب من بعده؛ عشان يفهم إيه اللي بيحصل معاه، كان بيعتقد أن بموت المالك الآخر، ومالك الكتاب من بعده هيختفي الكتابين.

_رامي : تقصد يا شيخ صافي إن قمر في الحالتين هتموت؟

_الشيخ صافي : لازم قمر تموت! موت المالك الآخر قبل ما تموت يا رامي، لازم موتها يبقى نهاية اللعنة!

الفصل الثامن

(صدمة)

أخذت قمر تصرخ حين رأت دماء مراد في كل مكان حولها، نظرت إلى الكتاب، أحست أن هناك من يدفعها؛ لتمسك به، وما أن اقتربت قليلًا لتتراجع إلى الخلف سريعًا، فنظرت إلى الكتاب مرة أخرى ثم سمعت صوتًا يتردد حولها:

_أما زلتِ خائفة بعد كل تلك القوة التي لديكِ؟ أنتِ أقوى، انظري قليلًا إلى عالمة الجديد، ألا تريدين رؤية مالك الكتاب من قبلك؟ اقتربي! لا أريد قول بشرية، اقتربي يا شيطان!

أخذ الفضول يضرب عقل قمر من جديد؛ فتلك القصة التي بدأتها سمر لم تنهها لها، ثم تركتها تفعل كل هذا بمفردها، فاقتربت من الكتاب، ووضعت يدها اليمنى عليه قليلًا، ليُفتح الكتاب، ثم بدأت الصفحات تتقلب من تلقاء نفسها سريعًا، لتقف على صورة شيطان أسود قوي البنية بأنياب تنتشر على كامل جسده، أخذت قمر تقرأ ما في داخل الصفحة، تلك اللغة الغريبة التي وجددت أنها تستطيع قراءتها، تلك الصور المصغرة من الجماجم، أمسكت بالكتاب بين يديها، وأخذت تقرأ ببطء، لتجد نفسها تقف في مكانٍ تجهله، تقف بين منازل ريفية قديمة من الأخشاب كأعشاش، أخذت تنظر حولها، لا تعلم ماذا يحدث؟

لتخرج تلك الصرخة التي لم تستطع منعها حين رأت شابًا يجر خلفه رجلًا عجوزًا بجلباب، نظرت جيدًا لتجد أن هذا الشاب يتجه إلى المقابر، فأخذت

تصرخ بأعلى صوت لها؛ حتى يخرج أحد من منزله، ولكن لم يلتفت لها أحد، ولم ينظر الشاب إلى مصدر هذا الصوت حتى!

أخذت قمر تهيئ نفسها؛ للذهاب خلف هذا الشاب، والذي ما أن اقترب من المقابر حتى فُتحت مقبرة، ليمسك هذا الشاب (علي) العجوز الميت ويدخل إلى تلك المقبرة.

نظرت قمر إلى المقبرة، لا تعلم هل لديها الجرأة؛ لتدخل؟ لا تعلم، لكن أحست أن تلك الفرصة لن تُعاد مرة أخرى، فدخلت سريعًا، لتجد أبشع مشهد قد لا يتمنى أحد أن يراه.

رأت قمر بعضًا من الجلد البشري الذي يخص هذا العجوز مقطعًا من قِبَل هذا الشاب الذي ما زال ممسكًا بالسكين، يسلخ المزيد من اللحم لتخرج من فم قمر كلمة:

_علي!

فوقعت منه السكين ثم تحرك من موقعه، وأخذ ينظر في كل مكان.

وضعت قمر يدها على فمها كأنها تقول:

_الآن سأموت على يد هذا الشيطان!

تحرك علي في طريق قمر لتقف أمامه كأنها تقول: اقتلني الآن!

ولكنه مر من داخل جسدها كأنها دخان، وأخذ يتلفت في كل مكان:

_أين أنت؟

ليظهر أمامه شيطان أسود نظر علي إليه قبل أن يتركه ويعود إلى الجثة، فتحرك خلفه الشيطان ليمسك علي سكينه الخاص، ويقوم بفصل القدم اللحمية اليسرى، ويلقي بها إلى شيطانه الأسود، ليسقط الشيطان سريعًا إلى تلك القدم، قبل أن يبدأ في التهامها.

نظرت قمر إلى هذا المشهد بقرف، وما زاد الأمر سوءًا حين رأت علي يأكل اللحم بجانب هذا الشيطان، لم تتحمل قمر لتغمض عينيها.

أحست قمر ببعض الهواء يلفح وجهها، لتفتح عينيها، فوجدت نفسها تقف تنظر إلى بعض من الرجال والنساء يحملون مصابيحًا يدوية قديمة في منتصف المقابر، ورأت رجلًا يبكي ممسكًا بقدم علي يتوسل إليه أن يعيش، فأخذ علي ينظر إليه بابتسامته الشيطانية المعتادة.

الرجل:عندي عيال صغيرين، ومراتي مريضة، هيموتوا من الجوع!

_نظر علي إليه : أنت وليمة الشيطان الشهر دا، أنا مش بختار، هو اللي بيختار.

نظرت قمر إلى وجوه الرجال والنساء الذين ينظرون أرضًا، ولا أحد يتحرك أو يبكي، فوقع نظرها على امرأة ترتعش لا تقدر على الوقوف، ونظرت جيدًا لتجد دمعة تهرب من عينيها، لتعلم جيدًا أن تلك المرأة زوجته، فتحدثت قمر:

_أنتَ عملت إيه يا علي؛ عشان تخلي القرية كلها كدا؟

ليأتيها صوت همسات في عقلها:

_هذا شيطان!

استمعت قمر إلى صوت أحد القبور يُفتح، فنظرت لتجده نفس القبر الذي كان علي يسلخ جلد العجوز به؛ ليأكله هو وشيطانه.

لحظات صمت، ثم في لمح البصر سحب هذا الرجل من بينهم، لينغلق القبر على أصوات صراخه، لتقع تلك السيدة على الأرض فاقدةً للوعي، فلم يلتفت أحد إليها، بل غادر الجميع، ولم يهتم أحد لها.

سقطت الأمطار عليها، لتبدأ في الاستيقاظ، والتي ما أن تذكرت ما حدث لزوجها أخذت تصرخ باسمه، وتضرب بيدها على تلك المقبرة، رغم علمها بأنه غادر بالفعل، وظلت تبكي عائدةً إلى بيتها تمني نفسها أن تلحقه الشهر القادم؛ لتغادر هذا العذاب.

أغمضت قمر عينيها من البكاء على تلك السيدة، ولكنها أبصرت مرة أخرى أسوأ ما قد تراه أو حدث في هذه القرية!

رأت أشلاءًا من جثث رجالٍ، ونساءٍ، وأطفال في منتصف القرية، وقد أبصرت علي ممسكًا بسيفه، وأمامه رجل محني الرأس، ليهوي بسيفه على رأس هذا الرجل لتنفصل رأسه عن جسده أمام كل من في القرية، فرفع بصره إلى كل من في القرية:

_الهروب من هنا مستحييل! من أنا؟

لتخرج أصوات الرجال والنساء بصوتٍ منكسر يعلمون أنهم أمواتٌ الآن أو بعد حين، ليتردد صوت علي مرة أخرى:

_من أنا؟

_لتخرج أصواتهم : شيطان!

أخذت قمر تصرخ:

_كفاية كفاية مش قادرة أتحمل، كفاية أرجوك خرجني من هنا.

لتبصر أمامها الشيطان الأسود المرافق لعلي، وقد أصبح كل شيء من حول قمر أسود، فأبصرت نورًا حادًا قادمًا من بعيد، أغمضت عينيها، لترى الصدمة الأكبر الآن حينما رأت علي بداخل المقبرة وأمامه الشيطان الذي خرج صوته، لتهتز المقبرة بأكملها، وقد ارتعش جسد قمر من هذا الصوت المرعب:

_لا تقل تلك الكلمات.

_نظر علي إلى الشيطان : انتهت حياتي، لم أعد أريد شيئًا لا تقلق، لن أجعلك تغنم من بعدي، أنت تعلم أني شيطان، أتمنى موت مالك الكتاب الآخر، ومالك الكتاب من بعدي.

نظر الشيطان إلى علي بغضب، وأخرج صوتًا حادًا لينقض عليه، وقد أخرج أسنانه ليقوم بالتهام رقبته، ثم كامل جسده.

نظرت قمر بصدمة، ليس لما تراه، ولكن حين سمعت:

_مالك الكتاب من بعدي!

أبصرت قمر الشيطان يقترب بابتسامة شيطانية من فمه:

_أنا أراكِ.

لينقض عليها، لتخرج صرخة من فمها، وقد أغمضت عينيها بكلتا يديها، وبعد وقت أزالت يدها لتفتح عينيها، فوجدت نفسها تجلس بجانب الكتاب، فأغلقت الكتاب ثم التفتت إلى الخلف، لتجد الشيطان يأكل في جثة مراد، والتي ما أن رأت هذا المشهد حتى الصرخة لم تستطع إخراجها، فوقف الشيطان أمام قمر، وخرج نفس الصوت مجددًا، ليرتعش جسدها:

_أنتِ سيدتي، وأنا عبدك.

****

(حية)

لم يعد هناك وقت؛ فقد ظهر الجنين، هذا الأمل لكِ يا بدوية، يجب أن تأتي قمر إلى هنا في أسرع وقت؛ لكي نبدأ طقوس مباركة إبليس للجنين.

_بدوية : لمَ لا يستطيع شيطانك أن يقتل قمر، ثم يأتي بالطفل؟

_حية : لا أعلم يا ابنتي، ما يخبرني به أن هذا الأمر من إبليس.

شعرت بدوية بالخوف، لمَ أصبح الطريق إلى الخلود صعبًا لهذه الدرجة؟ لا تعلم لمَ قتل قمر أصبح بتلك الصعوبة؟ هل الأمل له علاقة بالجنين؟

قاطع تفكيرها رأس والدتها:ليس الجنين يا بدوية! الآن علمتُ كل شيء.

نظرت بدوية إلى والدتها بخوف، تعلم أن الأمر به سر، لكن هذا السر قد يكون الهلاك، الآن علمت أن الأمر هو الهلاك.

خرج الصوت من شيطان الكتاب بصوتٍ له قوة تبعث الرعب من القلب:

_لديها شيطان.

نظرت بدوية إلى والدتها بفزع:

_كيف لديها شيطان؟ أتقصدين أنها تمتلك الكتاب الآخر؟

نظرت حية إلى بدوية، وعلمت أن الخوف بدأ ينهش جسدها، تعلم أنها تخشى أن تكون مثل البشر بعدما امتلكت قوة يخشى البشر الاقتراب منها، نعم قد تصبح من البشر إذا تمنت قمر ذلك.

_حية : لا تجعلي الخوف يتملك منكِ يا ابنتي، إبليس لن يخذلنا، هو إلهنا.

_بدوية : كيف تمتلك الكتاب الآخر؟ كيف؟ هل كانت تفكر بترك الدين الذي يقيدها؟

_حية : أخبرتك أن تتمالكي، لا تخافي إبليس معنا، هو منقذنا الآن.

نظرت بدوية إلى حية:سأجد هذا الطفل.

_نظرت حية إلى ابنتها ضاحكة : بل هو من سيأتي.

******

(رامي)

استيقظ رامي من النوم على صوت هاتفه، نظر إلى الهاتف ليجد المتصل من المشفى التي بها زوجته يخبره بأن زوجته غادرت المشفى!

ليسقط الهاتف من يديه، ويتذكر ما قاله الشيخ صافي:

_يجب أن تتمنى؛ لتزول اللعنة.

قام رامي مسرعًا إلى المشفى، وما أن اقترب من الغرفة التي كانت بداخلها زوجته، أتت إليه إحدى الممرضات تخبره أن زوجته قد غادرت، فنظر إليها بغضب قبل أن يتركها ليذهب إلى غرفة المراقبة بالمشفى، والتي ما أن دخلها حتى وجد الطبيب الذي منعه من الدخول إليها في الأمس مع أحد الأفراد يقومان بتفريغ الكاميرات، وما أن رآه الطبيب حتى قام من مقعده محاولًا الاعتذار له عما فعله بالأمس:

_أنا بعتذر لحضرتك يا أستاذ رامي، صدقني أنا مش فاهم حاجة، أنا شوفت الكاميرات عشر مرات لحد الآن ومفيش أي حاجة واضحة عن وجود زوجتك!

_رامي : في كاميرا موجودة في أوضة قمر؟

_الطبيب : الكاميرا الموجودة في أوضة زوجتك اتحرقت من غير سبب!

حين سمع رامي كلمات الطبيب ترك الجميع داخل الغرفة، وغادر سريعًا، لم يعد يعلم لما غادرت؟ كانت تخشى أن يراها، تظن أنها سببت لي العار؟ أنا أعلم كل شيء يا زوجتي!

وقف رامي أمام بيت الشيخ صافي يحدث نفسه:

_يألله أنا لم أجد غيرك معي، ثم هذا الرجل الذي هو عبدٌ من عبادك، هو ملجئ الوحيد من بعدك.

خطى بقدمه إلى داخل المنزل، فلم يجده، ولكنه سمع صوت الشيخ يصرخ من غرفة الإناء الذي وضع رأسه بداخله من قبل، فدخل رامي مسرعًا ليجد الشيخ في منتصف الغرفة مربع القدمين، من حوله الماء على شكل دائرة، كان لون الماء أبيضًا.

حين أخرج رامي صوته مناديًا على الشيخ تحول الماء إلى اللون الأسود، وقام الشيخ بفتح عينيه، ينظر إلى رامي بوجه أشد خوفًا، ليس خوفًا على حاله، بل على ما رآه، فقام مسرعًا، وأمسك بيد رامي، قبل أن يجره إلى الإناء أو الزير.

نظر إليه ليضع رأسه بداخله، والذي ما إن وضع رأسه بداخل الإناء حتى رأى قمر في بيتٍ متهالكٍ قارب على السقوط، هذا بيت والد قمر، ترى لما ذهبت إلى هناك؟

رأى الطفل يحاول أن يرضع اللبن منها، وهي تحاول إبعاده، وتصرخ ولكن بلا فائدة، لا تستطيع، فرأى جسدها يضعف، بل قاربت على الموت، فأخرج رأسه من الإناء قبل أن ينظر إلى الشيخ :

_يجب أن نسرع يا شيخ!

هرول الشيخ صافي سريعًا إلى الغرفة الأخرى بجانب تلك الغرفة؛ ليحضر بعض القوارير الزجاجية، ثم قام بارتداء جلباب آخر، وأسرع باللحاق برامي مغلقًا خلفه باب البيت :

_إذا لم تتمنَّ زوجتك ستموت، وهناك أكثر من تسعين شخصًا سيموتون بلا سبب؛ لتكون تلك الفتاة خالدة، إذا ماتت زوجتك ستعيش تلك الفتاة تبحث عن مالك الكتاب من بعدها، إذا وجدت الكتاب لا تعلم ما سيحدث! هناك الملايين من البشر على الأرض قد يتبعون إبليس؛ بسبب تلك الفتاة، هناك شياطين سيخرجون من هذا الكتاب إلى بعض من البشر؛ لكي يحققون الأماني لبعض البشر منهم؛ ليكونوا تحت سيطرة إبليس، كل هذا سيحدث بقرابين من البشر! آلاف البشر يا رامي سيموتون فقط؛ لأنهم قرابين إذا لم تتمنَّ زوجتك!

نظر رامي إلى الشيخ، ولسان حاله يقول:

_كل هذا سيحدث إذا اجتمع الكتابان في يد شخصٍ واحد، نعم هذا سيحدث، من سيكون أكثر كُفرًا غيرك يا بدوية؛ ليملك الكتابين؟

*****

(قمر)

وقفت قمر أمام بيت والدها في منطقة فقيرة جدًا، بيت متهالك قارب على السقوط، فنظرت إلى الأعمدة الخشبية المثبتة في الأرض تستند على جدران البيت؛ لتمنع البيت من السقوط، رغم كل هذا اقتربت قمر من باب البيت المتهالك، وقامت بدفعه؛ لتدخل إلى الداخل، فوجدت الغبار قد استولى على البيت، بل هناك بعض الجثث لبعض الحيوانات هنا وهناك، بل هناك بعض

القمامة الملقاة التي غمرت المكان؛ لا بد أن الجيران قد ظنوا أن البيت أصبح مكبًا للنفايات!

اقتربت قمر من أحد الجدران؛ لتستريح حاملةً الطفل، وما أن جلست حتى نظرت إليه تحدث نفسها:

_من أين جئت أنت؟ كيف تكونت بداخلي؟ من والدك؟ أنا فعلتُ كل شيء محرم، لكنني لم أتوقع أن يحدث معي هذا! أنت بالتأكيد لست ابن مراد، تأكدتُ من ذلك بنفسي آلاف المرات! من أباك؟

نظر الطفل إلى قمر، ثم شرع في البكاء، ورغم كره قمر للطفل لكن رق قلبها، فأمسكت به بين يديها تحاول إرضاعه بعض الحليب رغم علمها أنه لا يوجد بداخلها حليب الآن، بعد لحظات أحست بألم لا تتحمله موضع سحب الطفل للحليب، فحاولت إبعاده، لكنها لم تستطع، فنظرت إلى عيني الطفل لتُصدم حينما رأت كلتا عينيه باللون الأسود القاتم.

أحست قمر أن الحياة تُسلب من داخلها، وقد خارت قواها ليسقط الطفل من بين يديها أرضًا، لترى المشهد الذي لن يُمحى من ذاكرتها؛ فقد رأت أعضاء جسد الطفل تنمو بطريقة شيطانية، بل رأت شيطانها الذي حررته من الكتاب قد ظهر راكعًا للجنين، لتتحدث إليه قمر في عقلها :

_ما هذا؟ من هذا الشيطان؟

_ليخرج صوت الشيطان : هذا ابن سيدي، وسيدك إبليس.

_صُعقت قمر من تلك الإجابة : كيف حدث هذا؟ أنا لم أفعل أي شيء! كيف حدث هذا؟

_ليخرج صوت الشيطان مرة أخرى : زوجك قد تمنى ذلك.

لم تستطع قمر أن تتحمل كل ما سمعته، لتغلق عينيها فاقدةً للوعي، وقد وقف الطفل أمامها يسلب قواها من داخلها بابتسامة شيطانية على وجهه، حقًا عالم الشياطين معقدٌ جدًا!

كيف من ثلاث ليالٍ تكونت؟ كيف في يومٍ وليلة تصبح في أعمار البشر من الثلاثين، وأنت في عمر يوم؟ حقًا ستكون كارثة إن لم يتم السيطرة عليها!

ترك هذا الشيطان البشري قمر حين سمع صوت الاستدعاء.

نعم نستمع إلى كل صوت يتحدث، هذا صواب؟ لا، هذا عكس الصواب، ورغم أننا لا نحتاج إلى هذا الصوت، لكلٍ منا صوت.

الفصل التاسع

(لما تلك القبور)

وقف أمام بيت من القش بابتسامة قد ظهرت على وجهه، يحدث نفسه:

هل تأخرت عن موعدي؟ أم يجب أن يتوقف الوقت لي؟

نظر بأعين سوداء إلى هذا البيت ليجد امرأتين، لا بل امرأة ورأس امرأة أخرى في انتظاره، وقد حملت تلك المرأة رأس والدتها، ثم بدأت تخطو نحو هذا الضيف الذي بدأ يخطو نحوها هو الآخر حتى وقف أمامها، ليخرج صوت لم تسمع به من قبل، صوت كانت تنتظره من عشرات السنين:

_يجب أن نبدأ مراسم الخلود.

نظرت إليه بدوية في سعادة لا تُوصف، تتفحص كامل جسده، كيف تكونت بتلك السرعة؟ لك نفس طول تلك الفتاة التي أنجبتك، بل لك نفس تلك البشرة البيضاء، لكن هذا الجسد الهزيل؟ لم يتحمل جسدها أن يعطيك القوة الكافية؟ سأعطيك اسم (راكيل).

نظر لها هذا الشيطان البشري بغضب ليخرج الصوت الذي يريح بدوية:

_هل هكذا تتحدثين إلى ابن الإله؟

شعرت بدوية بالخوف، قبل أن تنظر إلى الأرض، ليخرج صوت حية :

_لم تقصد هذا يا سيدي، هي فقط غمرتها السعادة؛ لوجودك.

نظر هذا الشيطان إلى بدوية :

_رغم هذا أعجبني الاسم، أنا لستُ هنا لهذا، قبل فجر البشر يجب أن يكون هناك خمسٌ وتسعون قبرًا.

نظر إلى بدوية وإلى رأس الست حية لتنحني رؤسهما للشيطان البشري راكيل، لينظر إليهم بابتسامة فخر، ولسان حاله يقول :

_نعم، أنا ابن إله الأرض الآن، لا أحد يعلم ما سوف أفعله!

ليختفي من أمامهما مثلما ظهر.

أسرعت بدوية إلى الكتاب حاملةً له سريعًا، ثم فتحت الباب السابع بعنوان "خلود الشياطين".

نظرت بدوية إلى تلك الصفحة، فلم تجد شيئًا، نظرت إلى والدتها التي قالت:

_يجب أن تُغرقي كامل الصفحة بالدماء حتى تتغذى على دماء الشيطان بداخلك.

لم تهدأ بدوية قبل أن قامت بجرح يدها ثم بدأت في تلطيخ الصفحة بالدماء، ولم يمر سوى بعض الوقت حتى وجدت بدوية الدماء قد تم شُربها من جماجم

الحروف التي ظهرت أمام عينيها، لتنظر بدوية إليها بابتسامة قد ظهرت تدريجيًا كأنها تحدث نفسها :

_لا أصدق هذا! لا أصدق هذا! سيحدث الآن نعم! ليس لدي شيطان، ولكن سأكون خالدة.

أمسكت بدوية بالكتاب، ثم أمسكت باليد الأخرى رأس والدتها، قبل أن تخرج أمام بيت القش لتبدأ في قراءة ما في الكتاب :

_الروح في الجسد لا بد أن تُسلب، هناك جسد يستحق الخلود، أنتم البشر بداخلكم قلوب يجب أن تسرق، الحياة والموت في يدٍ تستغيث، تلك القبور ما أن تُفتح حتى تستقبل الخالد الجديد.

ما أن أنهت بدوية القراءة لتشعر أن الأرض من تحت قدميها تهتز، بل رأت أمام عينيها أكثر من تسعين قبرًا بداخل الأرض، قد تم هذا من قبل الشياطين في لمح البصر، نظرت بدوية إلى والدتها، الآن بدأ كل شيء، نظرت حية إلى بدوية :

_الأمر الآن في يد الشيطان الذي حررتيه، الآن الكتاب يتحكم في مصير الإنسان، سوف يظهر دخان فوق رأس من سيموت الليلة، هذا الكون يا بدوية به ملايين البشر يستحقون الموت، ومئات البشر يستحقون الخلود.

_بدوية : ماذا تعتقدين؟ من يستحق الخلود؟ من قلبه مُحب؟ أم من قلبه قاسٍ مثل الشياطين؟

_حية : من يملك قلبًا به حب يجب أن يموت مع ملايين البشر.

إذا عاش سوف يموت، لن يتحمل الخلود، الشياطين لا تخشى شيئًا يا بدوية : نظرت بدوية إلى أول قبر تملؤه الرمال، لتجد أول من سيموت في تلك الليلة، لتسكن الأرواح بداخل بدوية حين تكتمل باقي القبور.

*****

(الشيخ صافي)

وصل رامي رفقة الشيخ صافي إلى البيت سريعًا، ليجدا قمر أشبه بهيكل من العظام، لكن لا تزال هناك روحًا بداخلها، اقترب رامي سريعًا، والدموع تنهمر من عينيه لا تتوقف، لينظر الشيخ صافي إليه بوجهٍ حازم أن يتمالك نفسه؛ فالقلب ما زال يعمل، هي ما زالت حية، فأخرج الشيخ صافي زجاجة صغيرة جدًا بها سائل أبيض، وأخرج كوبًا بلاستيكيًا، ليضع القليل من الماء بداخله، ثم أسقط قطرة واحدة من الزجاجة بداخل الكوب قبل أن يعطيه إلى رامي؛ ليحاول جعل قمر تشربه.

قرب رامي الكوب من فم قمر، وأخذ يحاول جعلها تشرب منه، ليجد عينها تنفتح ببطء ولكنها لا تستطيع تحريك جسدها، بالكاد تستطيع التحدث، فلم يتمالك مشاعره ليضمها إلى صدره باكيًا، لا يعرف لما وصل إلى هذا الحد من اختبار الله؟

_ليسمع صوت الشيخ : رامي توقف!

نظر الشيخ صافي إلى قمر، فنظرت قمر إليه بضعف لتخرج كلمات الشيخ حازمة :

_أنتِ يا صغيرتي حُكم عليكِ بالموت، أنتِ ألقيتِ نفسك في عالم يتجنب الإنسان الاقتراب منه، كان لديكِ أكثر من تحذير؛ لتتوقفي، لكن فضولك جعلك تفتحين كتابًا هو الأخطر من بين الكتب! لذا يجب أن تموتي يا صغيرتي.

نظر رامي إلى الشيخ في تعجب، لما تتحدث هكذا وأنت تعلم أنها في أسوأ حالٍ الآن؟

وضع الشيخ صافي يده على رأس رامي بقوة ليسحب رأسه أمام وجه قمر:

_انظر إلى عينيها.

تعمق رامي في عينها اليسرى ليجد دماءًا قاربت أن تسيطر على النصف السفلي بها.

_الشيخ : تذكر يا رامي بداخلها حياة، يجب أن تتمنى.

نظرت قمر إلى رامي لتبصق الدماء من فمها قبل أن يسقط كتابًا أمامها من الأعلى، فوقف الشيخ صافي صفحات الكتاب تتقلب بسرعة لتقف على صفحة بعنوان "الخلود" لينظر الشيخ إلى رامي :

_يجب أن نذهب سريعًا، انظر إلى جانب الكلمة على معصم يدك!

نظر رامي سريعًا ليجد الرقم قد قارب على الستين، ففزع وقام بحمل زوجته، ثم ركضوا سريعًا إلى السيارة، وكان رامي يعلم وجهته جيدًا، يدعو الله أن يكون معينًا له الآن، لا تعلم ما هو الشعور أن تطلب من أحدهم أن يتمنى الموت!

الفصل الأخير

(راكيل.الشيطان البشري)

وقف راكيل ينظر إلى وجوه جميع من حوله، يبتسم تلك الابتسامة الشيطانية، وينظر إلى الدخان الأسود الذي يرافق من يزيد في فعل السوء كل يوم، استمع راكيل إلى بدوية وهي ترتل تلك التعويذة، والتي ما أن انتهت من ترتيلها حتى تبدل لون الدخان الأسود قليلًا، ليحمل في منتصف كل غيمة دخانية فوق بعض الأشخاص أمامه لونًا آخر: من يحمل لونًا أسودًا بداخله لونًا مائلًا إلى اللون الأخضر، لن يموت، أما من يظهر عليه لون مائل إلى اللون الأحمر، فبداخله روح تريد أن تخرج، أي أنه يتمنى الموت، وتلك الروح هي التي يعشقها الشيطان.

نظر راكيل بابتسامة صغيرة حين رأى أول ضحية لتلك الليلة؛ رجل في بداية الأربعينيات من عمره، وما أن رأى راكيل تلك الغيمة فوقه حمراء وسوداء اقترب من هذا الرجل ممسكًا بنفس السكين التي كان يستخدمها علي في سلخ الجلد، والتي استخدمتها حية حين قتلت مائة إنسان.

الآن يحمله راكيل، لكن الوضع يختلف قليلًا؛ فهو أحق منهم بالقتل، هو ابن الشيطان!

قام راكيل بإصابة الرجل إصابةً صغيرة في كتفه الأيمن، ليسقط الرجل سريعًا على الأرض، فبدأ الجميع من حوله في الصراخ، ثم بدأ البعض منهم في الهرب.

أخذ راكيل يتحرك بينهم بسرعة قياسية خارقة يبحث بينهم عن الشخص الذي يحمل اللونين الأسود والأحمر، وقد أخذت الجثث المصابة بسكين راكيل تختفي، ثم تظهر في تلك القبور التي حُفرت أمام بدوية.

انتشر الأمر سريعًا، ليصل إلى أقرب قسم شرطة كان قريبًا من هذا الحادث الأليم، فخرجت أكثر من ثلاث سيارات محملة بالكثير من العساكر لا يعلمون ما المصير الذي سيكونون خصمًا له هذه الليلة؟

حين وصلت سيارات الشرطة إلى أقرب مكان حدثت فيه جرائم القتل تلك، لم يجدوا سوى بعض الدماء المنتشرة هنا وهناك.

وقفت بدوية والسعادة تكاد تقتلها، تنظر إلى القبور أمامها، وقد ظهر راكيل في منتصف القبور، وقد تحول إلى شكله الحقيقي المسخ، مسخ أسود بعلامات من النار منتشرة في كامل جسده، من يراه من بعيد يظنه لوحًا خشبيًا محترقًا قليلًا، يخرج صوت خشن من داخله :

_أنهيتُ مهمتي، الآن دورك؛ لتحرري طاقتي؛ لأكون سيدًا على أحد شياطين الكتاب.

صدت أصوات الضحكات العالية من بدوية، تحمل بين يديها الكتاب، وقد أخذت تنادي على إبليس :

_يا سيدي حققت لي ما تمنيته، حقًا نِعم الإله أنت، أنت إله الأرض، أنت أقرب إلينا، بل أنت تحقق كل الأمنيات، بفضل الكتاب اليوم سأعيش إلى الأبد.

ألقت بدوية كتاب (حارثك) على الرمال بين القبور التي تملأها الجثث، هناك من مات، وهناك من يصارع الموت حتى الآن، أخذت صفحات الكتاب تتقلب لتقف على صفحة الخلود :

_نحن نسرق من عمر إبليس، نحن نسلب أرواح العبيد، ابن الإله، ابن إبليس هو سيد على ما يريد...

تبخر راكيل إلى غبار قبل أن يدخل سريعًا إلى الكتاب، وكادت بدوية أن تكمل التعويذة لتجد سيارة تقف بعيدًا بجانب الطريق، لتجد رامي يحمل قمر، فنظرت بدوية إلى رأس والدتها التي أخذت تحثها بقوة أن تكمل، ليخرج صوت قمر محطمًا كل شيء، كان صوتًا عاجزًا كأنه يتمنى الموت سريعًا :

_أتمنى موت مالك الكتاب الآخر.

ليجد رامي شيطانًا أسودًا بجسد قوي أمام عينيه قام بالصراخ في وجه رامي، لتسقط قمر من بين يديه، وتم إلقاء رامي بعيدًا، ليقوم الشيطان بالتهام رقبة قمر، وأخذ يأكل جسدها يحاول البحث عن اللحم، لكن جثتها كانت أشبه بهيكل عظمي فوقه طبقة من الجلد.

نظر الشيخ صافي إلى بدوية، فاشتعل الكتاب من بين يديها ليسقط، فخرج ثلاثة شياطين حاملين بين أيديهم فؤوسًا ذهبية، فأخذت حية تصرخ :

_أرجوكم لا، لم أقصد كل هذا!

ليخرج صوت أحد الشياطين الذي كان جسده أشبه بجسد تمساح، لكن بوجه أشبه بوجه الخراف:

_هذا حكم إبليس.

ثم هوى بالفأس على رأس حية لينشق إلى نصفين، فحاولت بدوية الهرب إلى داخل البيت القشي، لتجد البيت قد اشتعل من العدم من حولها، وقد أحاط بها الشياطين الثلاثة، لتسقط على الأرض باكية تتوسل إليهم، لتجد في نفس اللحظة الفؤوس الثلاثة قد هوت على جسدها لتنفصل الرأس عن الجسم منشقًا من النصف مثل والدتها، كما انفصل النصف العلوي عن السفلي أيضًا.

اقترب الشيخ صافي من النيران المشتعلة ليجد الكتاب الذي كانت تحمله بدوية قد اشتعل من أثر النيران التي التهمت بيت القش، فأخذ ينظر إلى القبور التي أمامه، يحاول أن يرى ما إن كان لا يزال أحدهم على قيد الحياة، ولكن لم يجد أحد، فتوجه إلى رامي الذي كان قد فقد وعيه من أثر صرخة الشيطان في وجهه، وقام بحمله، وتوجه به إلى السيارة؛ ليعودوا مرة أخرى إلى القاهرة، وكان جل ما يدور في عقل الشيخ صافي:

_هل موت بدوية؛ لأنها لم تكمل طقوس الخلود المحرمة؟ أم أن هناك شيئًا آخر؟ أين الكتاب الآخر؟ اختفى شيطان قمر بجثتها! لما اختفى الكتاب؟

وقف الضابط (حاتم نجا) أمام مدير أمن القاهرة (سليم السعدني).

_الضابط حاتم : القضية معقدة يا سليم باشا، أكتر من سبعة وتسعين جثة في مقابر في منطقة معزولة على طريق سوهاج في الوقت دا يبقى أكيد دا شيء له علاقة بالطقوس الشيطانية!

نظر سليم السعدني إلى الضابط حاتم :

_ما تدورش في القضية دي، اقفل القضية بشكل نهائي.

نظر الضابط حاتم إليه باندهاش ليقول له أن جميع الجثث تم التعرف عليهم من بلاغات الإختفاء التي أرسلت إليهم باستثناء جثة مقطعة، ورأس مهشمة دون جسد.

نظر مدير الأمن إلى الضابط بغضب قبل أن يصرخ به أن ينفذ ما يُقال فقط، فنظر الضابط حاتم أرضًا قبل أن يقول :

_أمر حضرتك.

ما أن غادر الضابط حاتم قام مدير الأمن سليم السعدني بفتح الدرج الأول من المكتب أمامه؛ ليمسك بيده كتاب بعنوان (حارثك) بابتسامة شيطانية قد ظهرت على وجهه.

تمت أراكم في الجزء الثاني

الفهرس

إهداء إلى: ٥

إهداء ثانٍ : ٧

مقدمة: ٩

الفصل الأول ١٠

الفصل الثاني ٢١

الفصل الثالث ٢٨

الفصل الرابع ٤٧

الفصل الخامس ٦٣

الفصل السادس ٧٧

الفصل السابع ٩٩

الفصل الثامن ١٢٣

الفصل التاسع ١٣٧

الفصل الأخير ١٤٣